كتاب
الهلال

الجميلات يذهبن إلى المحكمة

عبد المنعم الجداوى

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن ((دار الهلال))

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٦٢٥٤٥٠ « سبعة خطوط

KITAB ALHILAL

العدد ٤٤٦ ـ جماد الثاني ـ فبراير ١٩٨٨

No . 446 FEBRUARY 1988

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ; ١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

الهلال فى ج

الخارج بسيك

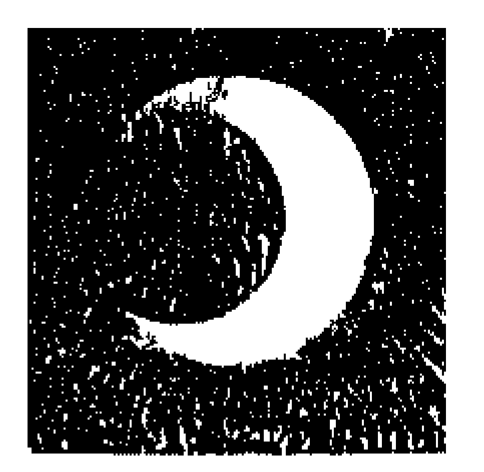
البريد المسجل

إهداء ٢٠١٠

مرحوم / محمد بن على الدعفس

المملكة العربية السعودية

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة الفنان
حلمـــى التـــونـــى

الجميلات

يذهبن إلى المحكمة

بقلم: عبد المنعم الجداوي

٥

دار الهلال

لماذا الجميلات بالذات .. ؟

والسؤال دائما لماذا الجميلات وحدهن يذهبن الى المحكمة .. ؟

وأريد أن اطمئن القارئات . فأقول ان هذا السؤال فزعني ، وأفزعني ، لا سيما وهذه الظاهرة ، فعلت بي مالا تفعله عيون أنثى ملونة بشاب في العشرين .. وكان ان حملت الظاهرة ، وكل ما يحيط بها ، ونماذج منها ، واحصاءات ، وقضايا أعرف أصحابها ، وقضايا لا أعرف صاحباتها ، وذهبت في رحلة سعادة نفسية الى العالم النفسى والصديق الاستاذ الدكتور عادل صادق ، أستاذ علم النفس في جامعة عين شمس ، وطلبت منه الجواب العلمى لسوء حظ الجميلات فى الزواج ، وقلت له : لقد أحصيت خمس زيجات لملكات جمال في القاهرة والاسكندرية .. فشلن من ست ، ووضعت المحاكم اللحن الختامى فى قصص زواجهن .. وكان رد العالم بعيدا عن الاصطلاحات والرموز النفسية والطبية هو : ان الجمال الذى يتجاوز الحد .. يفقد الانثى توازنها النفسى .. كما أن كثرة المعجبين الذين يطرون جمالها ، ويلاحقونها بعبارات الاعجاب .. أينما كانت وحيثما حلت ، والغوانى يغرهن الثناء .. كل ذلك يجعلها حتى لو كانت تتزوج من مليونير له جمال نجوم السينما . تراه غير جدير بها أو كفء لفاتنة الدنيا ، وحسناء الزمان، ومن هذا المنطلق ، وقد يحدث ذلك دون قصد منها ..

تبدأ فى الاســـاءة الى زوجها ٠٠ فى الوقت الذى يكون هو فيه ٠ قد مل هذا الجمال ٠٠ الذى تحول الى مصدر اذلال له ٠٠ وكان يريده مصدرا للمتعة والاستمتاع وهكذا يقدم على طلاقها دون أى شعور بالندم ٠٠ !

القدرة على اتخاذ القرار ٠٠ !

ولعل ذلك يحدث لاننا سواء كنا رجالا أو اناثا ٠ كثيرا ما نتخذ أخطر القرارات المتعلقة بأدق عواطفنـــــا ، والتى تشكل فيما بعد مستقبل حياتنا ، ونحن تحت ظروف طارئة ٠٠ أما عصبية لا نقيم فيها وزنا الا لاعتبارات موهومة من الحساسيات التى لا وجود لها الا فى خيـــالاتنا ٠٠ أو مجاملة لاعتبارات تتصل بذوى الرحم والقربى ٠ لن ينالهم بهذه القرارات المصيرية ٠ الا ما ينال المتفرج على تمثيلية فى التليفزيون ٠٠ ثم يصبح علينا أن نواجه النتائج الرهيبة بكل مشتملاتها من حرمان أو تمزيق أو تعذيب ٠٠ !

وحتى لو اكتشفنا خطأ هذه القرارات فى مرحلة مبكرة من مراحل التنفيذ ٠٠ أمسك بنا عن التصحيح ، بعض هذه العوامل أو كلها ، ورضينا أن نسبح ضد التيـــار ، وكان بنا رغبة كامنة فى تعذيب أنفسنا ، واســـتسلامنا لهؤلاء الذين نتركهم يصيغون حياتنا على أنمـــاط حيـــاتهم ٠٠ مقهورة أحلامهم ٠٠ مســـحوقة أمانيهم ٠٠ لا يجـــدون ما يتعزون به فى حياتهم ٠ الا تخريب حياة الاخرين ٠٠ !

وليس أدل على ذلك من الكم المخيف من القضـــايا التى يلعب فيها الاهل الادوار الاولى فى تقويض الزواج ، ولست أدرى كيف يفكر بعض الازواج ، وهم يخـــربون بيـــوتهم

بأيديهم ، ارضاء لامهاتهم أو آبائهم .. أكبر الظن .. ان الامهات والآباء أبرياء من هذه الاتهامات ، وان الرغبة أصلا في التخريب تبدأ من قبل الزوج أو الزوجة .. !

الاقتصاد العائلي .. قاتل احيانا

وتجيء العوامل الاقتصادية ، كضـــواغط لها قيمتها ، ومؤثراتها في تسيير دفة الحياة الزوجية أو القضـاء عليها أحيانا ، وقد فرضت قبضـتها على الاسرة ، ودخلت الزوج بعملها أو أجرها أو مالها من موروث كشريكة في اقتصاديات الاسرة ، وبدلا من أن يكون ذلك من عوامل الاســـتقرار ، أصبح أحد عوامل الاضطراب في بعض البيـوت .. ودفع بعشرات منها الى المثول أمام القضاء ، ولعل ذلك يفسر لنا الكثير من سوء حظ العاملات في الزواج .. فالعاملة تعيش نصف زوجة ، وفي مقابل ذلك تحصـــل على أجرها من وظيفتهـــا .. وأكثر الازواج يرون ـ وبغض النظـر عن صوابهم أو خطاهم ـ ان من حقهم الاستيلاء على هـذا الاجر أو بعضه .. ما دام ذلك على حسابهم كأزواج .. والمرأة العاملة ترى ـ وقد يكون ذلك خطأ أو صوابا ـ أن يكون هذا الاجر خاصا بها ـ ليس للرجل أن يسألها عنه .. تعين به من تشاء من أهلها .. لا سيما اذا كانوا في حاجـة الى هذه المعونة .. او تنفقه دون أن تقدم عنه كشف حساب للزوج .. وهذا الباب هو أوسع الابواب التي يجتـــازها الزوجان طريقا الى القضاء ..

باب آخر واسع وهام أيضا .. هو حينما تتسلط المرأة على الرجل مثلا .. وتستحوذ على مرتبه ، وكثيرا ما تكون على الرجل بعض الالتزامات نحو أفـراد عائلته .. كالاب

صاحب الاولاد .. أو الام الارملة .. أو الاخت المطلقة .. وهكذا ومن خلال محاولته القيام بواجبه الذى يفرضه عليه المجتمع والدين .. تنشأ المعارك التى تستفحل ، وقد ترتدى أثوابا أخرى لا علاقة لها بالمشكلة الاصلية فكلاهما يتجاوزها لان المحيطين بهما يجب الا يعرفوا حقيقة المشكلة .. وفي النهاية تنتصر المشكلة ، وينهزم البيت .!

الخراب على اصابع الاخرين ... !

اصابع اخرى تخنق العلاقات الزوجية .. هى اصابع الاخرين .. وأزمة المساكن يقع عليها ، الذنب الاعظم فى مثل هذه البيوت المحطمة .. فهى قد تدفع بالزوجين الى الاقامة عند أهل الزوجة أو الزوج .. وفى كلتا الحالتين لا يستقيم الامر .. فأهل الزوج يفرضون وصياتهم العلنية او السرية على الزوج ، والعكس أيضا اذا كانت الاقامة عند أهل الزوجة .. وكلاهما يضيق ، ويشكو فى أول الامر .. ثم يتبرد .. ثم يرفض ، ويعلق استمرار المعاشرة على الهرب من ذلك السجن .. وقد يعدها الطرف الاخر مسالة كرامة .. مسالة مفاضلة بين أهله وشريكه .. ويفضل أهله ، ويخرب بيته ، ويتم الطلاق .. !

والحق .. ان البيوت التى تتحطم على صخرة الاقتصاد كثيرة ، وهى تكون النسبة العالية فى قضايا الطلاق .. فاذا أضفنا اليها الزيجات المستعجلة التى تتم دون دراسة مسبقة .. او اية نظرة متأنية الى نوعية الزوج أو الزوجة وأقصد بها الزيجات التى لها شكل الصفقة .. فالزوج يسبق الزوجة بأضعاف عمرها .. لكنه ينقض عليها مستغلا

ضعف أهلها الاقتصادي ، ومستعملا سلاحه الذى لا يخيب .. وهو المال .. وهي زيجات مقضي عليها بالفشل قبل أن تبدأ .. وهي عند المرأة تحمل شكل المغامرة ، ولا يحزنها أن تفشل أو تطلق .. بل تحصل على التعويض المالى ،وهو كثيرا ما يكون محترما .. ثم تبدأ حياتها من جديد ، وكأن ما أقدمت عليه كان مغامرة لجمـــع المال .. ثم البحث عن الزوج المناسب .. !

وزيجات أخرى قامت على الحب .. الحب العنيف الذى يتخطى أسوار التقاليد ، ويضرب بنصـــائح الاهل عرض الحائط .. لكن هذا الحب العنيف لا يلبث أن يتحطم على صخرة الشكوك .. التى تقوم على أسس واهية .. أو دون اسس بالمرة .. عند الزوج أو عند الزوجـة .. وتكـون النتيجة أن يذهب كلاهما الى المحكمة ، ويطالب بالطلاق .. أو يلقي الزوج في وجه الزوجة بالطلاق في لحظة دراميـة غير آسف .. !

ومن أبواب الطلاق الواسعة أيضا .. ذلك الباب الذى يفاجىء فيه الزوج الزوجة .. بعد عشرة طويلة ، وكميـة لا بأس بها من الابناء والبنـــات .. بزوجة جـديدة .. والرجل في الاعم والاغلب من الذين حدث لهم اليسر بعـد العسر في الرزق .. جاء نموا طبيعيا لقدراته أو تجارته أو الوظيفة التى يشغلها .. وغالبا ما يكون قد عاش حيـــاته مقهورا تحت أكثر من ضاغط .. وقد تركب الزوجة رأسها وتصر على الطلاق .. وهذا ما يجعل الرجل يصر على جنونه ويطلقها .. وتسعة أعشار هذه الحالات تفشل .. ويعود فيها الزوج الى أولاده .. بعد أن يكون البيت قد أصيب بصدمة لا تزول آثارها .. هذا اذا لم تكن لها مخلفـــات

سيئة .. تجعل عودة المياه الى مجاريها مستحيلة .. وتضيع المؤسسة الاسرية بأكملها .. !

وفى هذه الاعترافات التي يدلى بها الزوجات ، والازواج أمام منصة القضاء .. فى عرائض دعاواهم ، ودفاعاتهم .. رغم المبالغات ، والاكاذيب ، والحيل التى يتبادلها الجانبان .. سوف يجد القارىء ، والقارئة فى النماذج التى جئنا بها .. ما يصطدم بالوجدان العام الذى نريد له أن يتيقظ، وأن ينتبه الى ما قد تحيكه الرغبات الكامنة غير المسئولة فى اللاوعى ، وأن يفطن الازواج ، ولا أقول الزوجات الى الشراك التى على الجانبين فى طريق الزواج .. وأرجو الا يغضب السادة الازواج .. ذلك لانى أرى دائما أنهم هم الذين يتخذون ارادة الفراق .. أما الزوجات فكثيرا ما يتشبثن بحطام البيت ، ويفضلن أن يغرقن معه كربان الباخرة الشريف .. كما سنرى فى بعض قضايا هذا الكتاب .. !!

مدخل إلى قضايا الطلاق

لست أزعم ان هـذه القضـايا جمعت كل أنواع أسباب الطلاق ·· لكنى أقول الحقيقة ، وهى أننى اخترتها اختيارا عشوائيا ·· لم يكن يعنينى فيهـا الا أن أسـوق الاسباب سواء كانت تافهة أو تستحق المطالبة بالطلاق من أجلها ، ونحن لا نعقب على الاحكام ·· لكننا نحاول فى حياد أن ننظر الى المشكلة من الخارج ، وبعيدا عنها ، ودون أن يتأثر سير حياتنا بها ·· مجرد الحصول ، والاستحواذ على درس نستفيد به أو ملاحظة نضعها أمام عيوننا · حتى لو عرضت لاحد من الاحياء الذين يعيشون حولنا · يمكننا أن نرده ، وأن نقول له احذر هذا المنعرج من سبل الزواج ··؟

وسوف تجد لو كنت عميق النظرة ·· واسع الصدر الى الحد المعقول ، ولا أطلب منك أن تكون « أيوبا » ·· ان كل الاسباب التى عرضها الازواج أو الزوجات للطلاق ·· كلها أو معظمها لا تستحق ان يهدم البيت من أجلها ·· لان أكبر المشاكل التى تعترض سبيل الزواج ·· يمكن أن تحل بين الزوج والزوجة ·· اذا كانت رغبة كلاهما خالصة فى الحل السلمى ، وذلك لا يمكن ان يتأتى الا اذا كان الزوج لا يحب زوجته فقط ، وانما يحب البيت الذى يضمهما أيضا ، وعلى استعداد للتضحية فى سبيله ، وكذلك الزوجة أيضا ·· فحب كلاهما للاخر لا يكفى ·· ان هـذا الحب الملموس الممارس بينهما يجب أن يمتد أيضا الى حب البيت ·· البيت

مبنى ومعنى .. وهـــذا هو أعظم الحب الذى تبنى عليه البيوت .. والحب المادى بمفهومه الحسى ، والجنسى ليس هو الحب الذى يضـــمن بقاء البيت .. فقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه وضع العناصر التى تبنى عليها البيوت ، وتحترم من أجلها بيوت الزوجية ، وليس من بينها الحب المحسوس الملموس ، والمعروف بيننا .. فقد ذهب اليه أحد المسلمين ، وقال له يا أمير المؤمنين ، أريد أن أطلق زوجتى أم أولادى ، لاننى اكتشفت اننى لم أعد أحمـــل لها حبا .. ؟

وسكت الفاروق طويلا .. ثم صب كل نظراته على الرجل وقال له : أليست مربية لاولادك .. ؟ غسالة لثيابك .. ؟ طاهية لطعـــامك ؟ حافظة لغيابك ، وأسرارك .. ؟ قال الرجل : نعم يا أمير المؤمنين .. فقال له عمر :

ـ قم يارجل فامســـك عليك زوجك ، فليس على الحب تبنى البيوت .. !!

بهذا الحوار وضع عمر رضى الله عنه عناصر جديدة يقوم عليها بيت الزوجية ليس من بينها الحب ، وهو ما نعبـر عنه هنا بحب البيت نفسه كمعنى ومبنى .. فهذا البيت فى حاجة لكى يظل قائما لا سيما ان كان يضم اطفالا .. الى التضحية من الجـــانبين ، لا نطالب المرأة وحدها بأن تضحى ، ولا نطـــالب الرجل وحده بأن يضـــحى .. ان التضحية يجب أن تقع من الاثنين وفى وقت واحد .. وتلك مرحلة .. فاذا وفق الرجل الى أدائها ، وكذلك المرأة . فلا يجب أن يمن احدهما بها على الاخر .. أو يشهرها سلاحا فى وجه الاخر .. يريد ان يستذله بها أو تكـــون له ميزة .. عندئذ يسقط المعنى النبيل للتضحية ، وقد تؤدى الى

نتيجة عكسية ·· يرى فيها الطرف الاخر عنصرا يحط من قيمته بقدر ما يرفع شريكـه ·· فيأخـذ موقف الدفاع عن نفسه ، وينقسم البيت على اثنين ، ويصبح صالحا للتحطيم!

وفى قضية (الجرى الى الخلف) سوف نرى امرأة موظفة جربت مرارة الطلاق ، ولوعة الفراق ·· وافترســتها كما تقول هى نظرات المجتمع الى (المطلقة) فالمؤسف المحزن ان مجتمعنا ينظر الى (المطلقة) كصاحبة سابقة زواج فاشـلة ·· يعاقبها عليها بحكم مسبق على انها هى السبب ، دون أن يلوم الرجل ·· ورغم ذلك فلم يمنعها هذا الذى تجرعته من طلب الطلاق مرة أخرى مع ان المسالة كانت كما اعترفت تتطلب منها تضحية صغيرة ·· هى أن تغفـر هـــذه المرة لزوجها انها رأت فى منديله (أحمر شفايف) وتتجاوز فى ذكاء فلا تحرج نفسها ، ولا تحرج زوجها ·· لو أنها قبلت أن تقوم بهذه التضحية ·· لبقى البيت وعاشت هى زوجة ملكة فى بيت زوجية تغلق لا يعلم أحد ما يدور فيه ·· أما باصرارها على الطلاق ·· فقد فقدت عرشها ، وعرف كثير من الاخرين ·· انها خدعت أو ان زوجها حاول خداعها · !

أنا لا أهدر حقها أو كرامتها أو أدعـــوها الى أن تترك الرجل يجرح كرامتها بحماقاته ·· لكننى أريد أن توازن ، وان تقارن ، وأن تتوخى ، وأن تضع مبـــدأ التضـــحية لا كتفضل منها · لكن كعامل دفاع · لن يراه الا هى ، ولن يحسه سوى شريكها فى البيت ·· وبعد كل هذا تقرر ·· هل هذه الحماقة التى ارتكبها زوجها فى حجم الخراب الذى ياتى مع اصرارها على الطلاق ·· ؟

وقد اكتشفت ، ولكن بكل آسف بعد فوات الوقت أن اللون الاحمر فى منديل زوجها ، لم يكن يستحق منها كل

ما وقع ، وهو اصرارها على الطلاق ، لكن الغضب كان منصبا على زوجها السابق ، الذى طلقت منه بسبب خيانته لها على فراش الزوجية ، ومع صديقة لها ·· لم تفطن الى هذا الا بعد أن طلقت ·· ولكن كان قد سبق السـيف العـزل ، واصبحت مطلقة للمرة الثانية ·· ؟

وفى قضية (الحقيقة والسراب) نجد زوجة لحوح تتحول الاشاعات عندها الى حقيقة ، وتتهم زوجها دون أن تستمع الى دفاع منه ، وتعلنه بالتهمة صباح مساء ، وهى أنه سوف يستجيب لرغبات أهله في أن يتزوج لكى ينجب ، لانها لم تنجب رغم ان زواجهما لم يمر عليه سوى عامين ، وهكذا طلقت فى العام الثانى ، بناء على رغبتها بعد أن كادت تفقد الزوج عقله ، وما كان أغناها عن كل هذا لو أنها تجاهلت كل ذلك ·· وعاشت فى بيتها حريصة على كبريائها ·· متحصنة بكرامتها ·· تحاول فى اصرار أن تكسب رجلها الى صفها ·· بقليل من التضحية والحب ·· ليصبح كالخاتم في أصبعها ·· فلا ينتصر أهله عليها ··· أن طلبها الطلاق ، وحصولها عليه ليس نصرا لها بل هو الهزيمة كل الهزيمة ·· وقد كان فى وسعها أن تحتوى زوجها بقليل من الحب ، وكثير من التضحية ·· لكنها لم تفعل ··

وفى قضية (عاصفة فى الخريف) سوف يجد القارىء نموذجا غريبا من النساء ، وأغرب منه الزيجة ذاتها ، وكيف تمت ، فالاب رأى أن يزوج ابنته التى رسبت عدة مرات فى التوجيهية من صديقه الذى يماثله فى العمر ·· لا تدرى اذا كان هذا عقابا لها أم مكافأة ·· ؟ فهو يرى أن الرجـل مستور الحال ، وانه طلق زوجته الاولى لانه لم ينجب ، وان ابنته هى التى سوف تعطيه الولد ، وبذلك سوف تكون فى سعادة لن تحصل عليها اذا ما تزوجت أى شاب ، وهو يرى

ان الرجل الذى يقترب من الخامسة والاربعين مازال فياض الشباب ، معطاء الرجولة ‥ تجاوز عمر الطيش ، واتزن‥ كل ذلك كان طبيعيا ، ولكن كيف كانت تنظر الفتـاة الى تلك الزيجة ‥ انها كانت مبهورة بلعبة الزواج ترى معها انها تحررت من قيود البيت ، وأوامر والدها ‥ ترتدى من الثياب ما تريد ، وتخرج وقت ما تريد ، ويقدم لها زوجهـا السيارة ، وقد وعدها بشراء سيارة لها بعد أن تضـع ‥ هذا هو الزواج فى نظرها ، وتلك مسئولياته ، وقد حملت ووضعت فماذا يراد منها بعد ذلك ؟

لقد عادت طفلة من جديد ‥ تريد أن تمارس مااختصره الزوج من حياتها ‥ واصطدمت ووقع الصـدام ، وطلبت الطلاق ، وحصلت عليه ‥ !!

لقد طلقت بعد أن انجبت ولدين ، وظنت انهـا بذلك امتلكت ناصية أمور قلب الرجل الذى يسـبقها بضعف عمرها ‥ وانها مدللة مهما تقول الزوج يفعل ‥ لكنهـا تناست أن الرجل لا يتمسك بالزوجة من أجل الاولاد ‥ بل هو العكس ‥ الزوجة التى تستحق هذا اللقب هى التى تستطيع أن تجعل الزوج يتمسكه بالاولاد من أجلها هى . وهو هنا رغم أن كل شىء كان فى صالح الزوجة ‥ الا انه طلقها لانها كما يقول (لم يعد لها حد تقف عنده فى عبثها ونزواتها ، لا سيما بعد ان مات والدها ، وكانت قد تأكدت من حبى لها ، وعطفى عليها ، فأصبحت لا تخشانى ، واثقة ان رصـيدها عندى سـوف يجعلنى أغفر لها كل الاثام والاخطاء) لكن للصبر حدود ‥ !!

والان أرانى انه يجب أن أخلى بين القارىء ، وبين القضايا ليصل الى ما يريد كما يريد ، فهو صـاحب الامـر أولا واخيرا ‥ !

الجرى إلى الخلف

● صــــاحبة القضـــية دون الثلاثين ، عادية الطول ، معتدلة القوام ، خمرية اللون ، ممتلئة الصدر والساقين •• تتركز جاذبيتها فى ملامح وجهها الانثوية التقــاطيع ، فى عينيهـــا أنوثة مقهورة مغلوبة على أمرها •• وعلى خــديها غمازتان تبرزان وتختفيان عندما تبتسم أو تتكلم •• ويحيط شعرها الاسود بوجهها الحانى القسمات •• وحينما وقفت أمام المنصة لتعرض دعواها قالت :

سيدى القاضى :

● وجدت نفسى مصســهورة الانوثة ، معصورة الشباب ، فى تجربة تســـبق عمرى بمراحل تطحننى مرارتها •• وتسحقنى الامها فتصب احلامى الشابة ، وأمانى البكر فى صميمها •• وتركتنى وأنا لم أتجاوز العشرين أحمل لقبا بغيضا •• رهيبا يثير الفزع اذا عبر خيـــال أية امرأة •• لقب « مطلقة » •• !

● ورغم اننى أعمل فى وظيفة لا بأس بها •• وأعيش مع والدتى وشقيقى الاصغر •• الا ان هذا اللقب المذل كان يطاردنى فى اصرار •• ملقيا على تبعاته ذات الظلال الكئيبة •• الخالية من كل معنى الا معانى الشك ، والريبة والظنون •• شكوك فى عيون الناس تنســكب على كلما رأونى •• ونظراتهم تتغفق ظنونا •• وهمســـاتهم تذل وجودى •• حينما يشيرون الى بأطراف عيونهم أو بايماءات من رءوسهم

في العمل ٠٠ وفى الشارع ، وفي كل مكان ٠٠ حتى سكان العمارة ، كانوا يغلقون في وجهي أبوابهم ٠٠ حركات نسائية ظالمة ٠٠ واضحة الخبث ٠٠ ألقى في وجه السيدة منهن بالتحية فلا ترد ،وكأن ردها سيجعلني أختطف زوجها فاذا تصادف أن رأيت احداهن مع زوجها ، نفرت واستكبرت ورفعت كتفيها كأنها تحاول أن تحجبه عنى ٠٠ وترفع وجهها الى عيني زوجها تراقبه وتتعقب نظراته ولا تستنكف أن تلوى عنقه بيدها اذا ضبطته ينظر الي ٠٠ متاعب طويلة لا أول لها ولا اخر ٠٠ ومعارك مستمرة مع والدتي لانها تريد أن تلقي بي بين ذراعي أول رجل يتقدم الى لكي ترحمني من هذا اللقب ، وتنقذني من تلك المواقف وأنا لا أريد أن أكرر التجربة الفاشلة ٠٠ولكنها تتذرع بأن الناس لها ألسنة لا ترحم ! ٠

وفي ساعة كان اليأس فيها قد بلغ بي منتهاه ٠٠ جاءت به قريبة لى كانت تصحبه فى زيارة لنا ٠٠ وذكرتنا هذه القريبة بأن أسرته كانوا جيرانا لنا ولم يكن به ما يشينه ٠٠ ولم تطل فترة الخطبة حتى يمكن الحكم عليه ٠٠ وكثيرا ما يصرالناس على هضم حقوق كثيرة بالنسبة للمطلقة ٠٠ كأنهم بذلك يعاقبونها على ذنب ليس لها يد فيه ٠٠ !

أصبحت زوجة للمرة الثانية ٠٠ لم يكن الزوج الذى حلمت به ٠٠ ولكنني تمشيا مع واقعي ، رأيت انه لا حق للمطلقة فى أن تحقق أحلامها ٠٠ وبدأت اقرأه بعد انتقالي الى منزله ٠٠ كان يعمل محاميا لدى احدى الشركات ٠٠ وكانت قراءته صعبة بالنسبة لى ٠٠ فبعض صفحاته ملتصقة ببعضها ٠٠ وفي صفحات كثيرة سطور مطموسة من

حياته ٠٠ كان يكبرني بعشر سنوات تقريبـــا وبعد العام الاول أعتبر المنزل حقيقة لا مجازا ، مكانا يأوى اليه فقط ٠٠ فهو لا يعود ظهرا على الاطلاق ، مدعيا انه يعمل طــول النهار لانجاز أعمال تجارية أخرى يزيد بها من دخله ٠٠ وهذه الاعمال التجارية تدخل تحت بند عمله فى الشركة ٠٠ أعتبر نفسه وحدة قائمة بذاتها ٠٠ وتركنى أعود من وظيفتى لاقضى يومى مع طفلى اذا فكرت لا يشاركنى التفكير ٠٠ واذا سرنى أمر لا أجده ليشاركنى فرحتى ٠٠ واذا أردت أن أتحدث اليه تذكرت أننى وحدى ٠٠ ويعود فى منتصف الليل مهدودا ليلقى بنفسه داخل الفراش ٠٠وبالطبع تركت الامر فى أوله عساه يحس بمســئوليته كزوج ازاء زوجة شابة ٠٠ فقد كنت موقنة أن ثقافته سوف تجعله يتنبه الى المعاناة التى أعيشها ٠٠ غير أنه لم يفطن ٠٠ تركنى للصمت أمضغه ويمضغنى ٠٠ وللوحدة تأخذنى وتلفظنى ٠٠ وكان فى وسعى أن أحتمل كل ذلك ٠٠ الى أن وضعت يدى ذات يوم على دليل هدنى كزوجة ، وحطمنى كأمـرأة يخـــونها رجلها ٠٠ وهى تكبل بلا خلاص عواطفها ٠٠ وتعتقل داخل قلبها فيضا من مشاعرها ٠٠ ومن أجل هذا الدليـــل الذى أصابنى بحساسية فى عينى ، وقال عنهــا الطبيب أنهـــا نتيجة للازمة النفسية التى أعانيها ، وان اســتمرارها قد يقضى على بصرى نهائيا ٠٠ فاننى جئت أطلب الطلاق ٠٠ مختارة أن أدفع بنفسى من جديد الى طريق تفرشه الجمرات ٠٠ وتظلله الاشواك والشكوك ٠

وجلست السيدة ليتقدم من بين الصــفوف رجل جاوز الاربعين ٠٠ مفرط الطول ٠٠ مغضن الملامح ٠٠ يبدو أكبر من عمره ٠٠ الا أنه واضح القسمات ٠٠ باسم النظرة فى

عينيه الفة ·· ويرتدى بذلة أنيقة ·· وتنسحب أناقته على كل ما يرتديه ·· وحينما وصل الى المنصة ، وقف يقول :

سيدى القاضي :

لست أدرى اذا كان يحق لى أن التقط الخيط الذى بدأته أم لا ؟ غير أني أريد أن أبدأ حقيقة من حياتى السابقة ·· تلك الحياة التي ألتقت بظلالها على حياتى فى حتمية لم يكن منها مناص ·· ثم دفعت بى وبها الى هذه النهاية ··

لم يكن يفزعنى هذا اللقب الذى تسعى اليه ثانية ·· بل وصدقونى حينما أقول لكم ان هذا السبب بالذات كان من بين الادلة التى بنيت عليها زواجى بها ·· فقد أعتقدت ان زواجها السابق أكسبها خبرة وتجربة ·· ولابد ان مرارة الفشل سوف تجعلها تدافع بكل قواها لكى تحتفظ بحلاوة السعادة ··

وكما قالت لى فى بداية زواجنا لم يعد فى العمر متسع لتجارب جديدة ·

وسواء كنت مصيبا أو مخطئا فى ظنى هذا ، فانني أقدمت على الزواج منها ·· بين دهشة الكثيرين من معارفى وأقاربى الذين شهدتهم غرابة اقدامى على الزواج لاول مرة من « مطلقة » ·· وكنت أشرح للجميع وجهة نظرى ، وكان بعضهم يؤيدني والبعض الاخر يدعو لى بالتوفيق وفى عينيه نظرة اشفاق تؤكد انه يرى أبعد مما أرى أنا ·· !

وكان اخر ما يخطر ببالى أن أجدها وقد استغرقت فى الماضى تعيش فيه ·· تشدها اليه عشرات الروابط ·· تلك الاشياء الصغيرة التى ترسبت فى أعماقها وعششت فى خواطرها ·· وكونت مفاهيمها للامور ·· وعليها وبها تقدر معدلات الحياة اليومية ، وتأخذ بهذه النسب كل

ما يعرض لها .. وهكذا ودون أن تشـــعر كانت توغل فى الماضى .. وهى تظن انها تهرب منه .. وكأنها تجرى .. وتجرى .. ولكن الى الخلف ..

وأيقنت أن حياتى لن تكون سهلة .. وانها أشق وأصعب مما تتصور هى .. فأن الطلاق وقع بينها وبين زوجها الاول بسبب امرأة .. وذلك ما حاولت أن تخفيه عنكم .. ولكنها تحمله فى أعماقها .. لقد فوجئت ذات يوم أو ذات ليلة لست أدرى بالضبط .. فتحت غرفة نومها فاذا بهـا أمام المنظر الذى لا يتصوره أبدا شـــخص متزوج .. شريكـه يصنع مع مجهول لحظة خيانة .. ولكن طرفى الخيانة كانا معروفين لها .. زوجها واحدى صديقاتها .. !

هذه الصورة التى احتلت خيالها .. ورفضت أن تبارحه .. والتى لم يكن لى أدنى ارادة فيها .. ظلت تطاردنى .. وكان على وحدى أن أدفع ثمن خطيئة سوء اختيارها الاول ، وخطيئة زوج أحمق ، وصديقة لعوب .. وهكـــذا فرشت بيتنا بالشوك قبل الاثاث ، وأصـبحت كل تصرفاتى تحت مراقبة دقيقة .. وفى الاوقات القليلة التى كنت أخلو اليها فيها ، كنت أسمع منها وهى تتكلم ما تفصح به أعماقها .. واذا بها تقرر ان الرجال ودون استثناء خونة .. اذا لم يمارسوا الخيانة ، كان ذلك عن عجز فقط .. فلا خلق .. ولا مثل .. ولا خوف من الله .. !!

ان الدليل الذى أقامت عليه هذه الدعوى هـو أنهـا وجدت فى جيبى منديلا ملطخا بالروج ولم أنكـر .. قلت لها أن احدى زميلاتنا قد أغمى عليها عقب تعنيف المدير لها .. وكنت أقرب الزملاء اليها .. وصببنا على وجهها بعض الكلونيا .. وفعلا مسحت لها وجهها بمنديلى ولم أنتبه الى

ذلك .. وهى من ناحيتها لم تقل لى السبب فى موقفها الا بعد أن غادرت البيت ولجأت الى بيت والدتهـــا .. وقد رفضت أن تصدق .. وقد جئت لها بزميل أكد لها صحة الواقعة ، ولكنها نظرت اليه واعتبرته شاهد زور لانه هو الاخر رجل .. انها فى الحقيقة فى حاجة الى طبيب نفسى يعيد الى نفسها الثقة بالرجال .. أما الطلاق فانى لا أقرها عليه رغم عذابى معها من أجل طفلى ومن أجلها هى أيضا .. فمازلت مشفقا عليها من تجربة ثالثة .. !!

المحكمة :

وجلس الزوج المحامى وصـــــدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

ولما كانت الاسباب التى تقدمت بها المدعية فى عريضتها لطلب الطلاق لم تقتنع بها المحكمة ، وبناء على ما أبداه الزوج من رغبة طيبة فى استمرار المعاشرة الزوجية .. وتعهـــده بأن يعالجها عند طبيب نفسى .. ولما كانت المحكمة ترى ان تمنح الطرفين فرصة تصحيح المعـــاشرة الزوجية نظـــرا لثقافتهما ومن أجل الطفلة التى تربط بينهما .. فقد حكمت برفض دعوى الزوجة فى طلب الطلاق .. والزمت المدعية بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

الحقيقة والسراب

صاحبة القضية دون الثلاثين ·· طـويلة ·· متناسـقة أعضاء الجسم ·· أبرز ما فيها عنقها الطـويلة ·· ولون بشرتها البرونزى ·· وفى عينيها السمراويين ، تحشـد أنوثة دافئة ينتصب أنفها معتدلا يشد معه فما له شـفتان مضمومتان كحبتي التوت ·· وينسكب حول وجهها شعرها الاسود ·· تنطوى نهاياته عند أسفل عنقها كبقايا ليـل طلع عليها الفجر من جبينها ·· وحينما وصلت الى المنصة قالت :

سيدى القاضي :

من قاع الضياع ·· ومن أعماق الهاوية التى ألقى فيهـا بروحي ·· أحاول فى مشقة أن أستعيد كيانى · تساورنى كل الشكوك فى العثور على ارادتى ·· على نفسى ·· على ذاتى ·· فقد عشت أيامى معه أظنه قد استولى على كل ذلك منى ·· ثم طرحنى خارج حياته ·· بقايا ممضوغة ·· تأبى الرياح تعففا أن تذروها ·· !

كبير على روحى الان أن أقول كيف بدأت حياتنا مرحلة الاضـمحلال ثم الانحلال ثم الانسحاق تحت وطأة الرغبة التى تفتت فى نفسه الى رغبات فرعية ·· كانت تلح عليه دقيقة بدقيقة ، وتضغط على معنوياته ضغطا مستمرا ·· تدفع في نظراته نزعات تطفو بادية على السطح رغم المعاناة

الفاشلة لكبحها ·· ! وكنت اقرأ هذه الالام على صفحة وجهه ·· وفي عينيه ·· فى صوته ·· وابتلع الامى التى تبعثها أصداء أحزانه ·· !

بعد العام الاول ·· أحسست من نظراته أنه يطالبنى بشيء ، وكنت أتجاهل فى ادراك يائس ما يطلبه ·· ذلك لانني عاجزة عن الوفاء به ·· فقد كان العطاء الوحيد الذى لم أكن أملكه ·· وتتلاقي عيوننا في لقاءات حارة ، وساخنة وسريعة ·· وتصطدم النظرات ويدوى صوتها كالرعد فى أذنينا ·· ونسمعها وهى تسقط على الارض تتدحرج عند أقدامنا ·· وانكمش ، وينمكش ·· ويشعر أنه أهان أنوثتي ·· فيعود يواسينى مواساة تستنزف ما بقى لى من كبرياء ·· وأختنق بالعجز ··ويتفاقم شعور الضعف داخلى يذيبنى كشمعة تحت لهب قاس ·· !

ولم يعد زوجا ·· تحول الى صاحب دين ·· رجل يملك ضدى شيكا بلا رصيد وكان الحمل والولادة كمبيالة مستحقة الدفع بعد العام الاول ·· وذات لحظة بطشت آلامنا بأنقاض الصبر الذى كنا نتمسك به ·· وألقت بالبسمات المصطنعة من فوق شفاهنا الى الارض ·· وهتفنا في وقت واحد ·· يجب الذهاب الى طبيب ·· ويوم اتخذ هذا القرار ·· شعرت أننا نمضى في العراء ·· لقد بدأت الرحلة منتهاها ·· وبدأت جولتنا عند الاطباء ، واستمرت عاما طويلا ·· وكل منهم يعطينا من الامال ما نشقى به أكثر مما نسعد ·· وأحسست أننا نجتاز فترة يأس ، واقتراب سريع من الطريق المسدود ·· الذى يلوح لنا ونتغاضى عنه فى غباء مصسود ·· ومن جديد عادت الاصطدامات ·· بالنظرات بالإيماءات بالكلمات ·· وملأ

الدخان جو البيت في انتظار الانفجار ٠٠ !

أخيرا علمت أن أهله قد عثروا له على زوجة ولود ٠٠ ودلتني أحاسيسي التي ترصده على أنه قد شرع في القيام بمفاوضات في هذا الشأن٠٠ ولم أشأ أن انتظر حتى تتمزق كرامتي أكثر من ذلك ٠٠ فصارحته بما يدور في رأسي وعاجلته بطلب الطلاق ، وفجأة ظهر على حقيقته ، وحدد للطلاق ثمنا ٠٠ هو أن أترك له مؤخر الصداق ٠٠ ونفقة العام ٠٠ وكنت على استعداد لكل هذا ولكنه أصر على أن يحرمني من نصف أثاث المنزل ٠٠ حقيقة اننا أثثنا البيت مناصفة ٠٠ ولكني لا أريد أن يكون أثاثي تحت أمر زوجة أخرى ٠٠ ومن أجل ذلك لجأت الى ساحتكم أطلب الطلاق لاسباب ثلاثة :

أولا ٠٠ لانني لا أريد أن أكون ضرة ، ففي ذلك كل الضرر بمركزي الادبي والمعنوي ٠٠

ثانيا ٠٠ لان راتبه لا يستطيع الانفاق على بيتين ٠٠

ثالثا ٠٠ لانني لا أقبل معاشرته بعد زواجه لانني لست من هواة الفضلات ٠

وجلست السيدة وجاء من اخر الصفوف رجل في حوالى الخامسة والثلاثين طويل ٠٠ عريض ٠٠ كابى النظرات مهذب الملامح ٠٠ يرتدى ملابس أنيقة وسار نحو المنصة في وقار ثم قال :

سيدي القاضي :

نعم ٠٠ كل ما جاء على لسانها كان صدقا ٠٠ الى أن بدأت تتحدث عن حياتنا بعد العام الاول ٠٠ لم أكن أحمل للاطفال كل هذه اللهفة ٠٠ ولم يكن الحرمان قد طال بنا ٠٠ ٠٠ فان السنة الاولى من الزواج ليست هي المقياس للانجاب

أو العقم .. وحرصت باذلا لها كل أحاسيسى على الا تمس مشاعرها .. الى حد أننى كنت اذا رأيت مثل هذه المشكلة فى التليفزيون أنصرف عنها .. فى الوقت الذى تصر هى على أن تراها .. من أجلهـــا كنت أتحاشى الذهاب لزيارة الاقارب الذين لهم أولاد .. وأفهمت الذين يزوروننا منهم أن زياراتهم غير مرغوب فيها .. ولم يكن ذلك يؤثر فى .. كنت أعده من مقومات حياتى معها .. فلست أريد لها أن تتألم حتى لو كان ذلك عن طريق غير مباشر .. ولعل ذلك هو الذى جعلها تندفع فى عنادها باصرار .. منـذ اليـوم الاول الذى ذهبنا فيه للطبيب عـرفت أن كل المحـــاولات لا طائل تحتها .. ولم أشأ أن أصفعها بالحقيقة وقال لى أنه سوف يكتب لى ولها بعض الادوية .. لكيـــلا يترسـب فى ذهنها أنها هى السبب فقط .. !

ورضيت فى استشهاد أن أتجرع الادوية المتفق عليها ..

كل ذلك وأكثر يصـــدر عنى من أجلها .. مســتهدفا اجتثاث الشعور بالحرمان من أعماقها .. ومشفقا عليها من الانهيارات التى تسبق الانفجار .. لكن ترقبها المهائلة والتبذ جعلها غير قادرة على التكيف مع مظاهر الحياة .. وأصرت على أن ما تتوهمه هو الحقيقة ، واننى سوف أتزوج ، وكانت مخـــاوفها هى الجزء الاكبر فى مجمـــوعة الدوافع التى اسلمتنى أخيرا الى الزواج .. ولكن ذلك لم يتم الا بعد أن وقفت منى موقف الهجوم بشكل دائم ورخيص ترمى منه الى تحطيم معنوياتى وخفض حماستى للحياة الى الحد الادنى الذى يضعنى أمام نقطتين : الانتحار أو أترك نفسى لها تفعل بى ما تريد .

وخلال المعارضة الطويلة للمعركة الصـــاخبة التى كنـــا

نعانيها .. تولدت المقاومة في صدرى .. وكان زواجى من أخرى جزءا من المقاومة .. وحينما عرضت فكرة الطلاق ، طلبت منها أن يكون فراقنا فى هدوء .. وأن تحمل ما لها فى البيت ، وتبقى على ما هو لى .. ولكنهـا أصرت على أن تجىء الى المحكمة .. ولم يكن أمامى الا أن أمضى معهـا فى مشوارها حتى اخره .. !

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثيـاته : وحيث أن المدعية أبدت استحالة المعاشرة للاسـبـاب التى أبدتها للمحكمة لا سيما بعد أن تزوج بأخرى ، وحيث أن هذا الفعل من جانبه يضر بها أدبيا ، ومعنويا وصـحيا ، ويعوقها عن تأدية عملها ، وحتى لا تضار ، تحكم المحكمة مستجيبة لرغبة المدعية بطلاقها من المدعى عليه ، وبعـدم تعرضه لها فى شئون الزواج والزامه بالمصروفات وأتعـاب المحاماة ..

عاصفة فى الخريف

صاحبة القضية تقف على عتبة الثلاثين •• دقيقة الحجم والجسم ، واضحة الملامح ذات وجه مسـتدير تترقرق فى ملامحه أنوثة ناضجة •• ولعينيها رموش سـوداء حينما ترفعها وتسدلها تقيم الناظر اليها وتقعده •• ولانفها سحر الفاكهة الصغيرة •• وتتركز فى شفتيها أنوثة عمرها كله •• وحول وجهها شعر كالليل •• ولحاجبيها اشراقة الافق فى طلوع الفجر •• وحينما وقفت عند المنصـة راحت تقول :

سيدى القاضى :

عندما جاء يطلبى من والدى وعلى كتفيه أعوامه الخمسة والاربعون •• عجزت عن المعارضة لاكثر من سبب •• كنت قد بقيت فى البيت اثر تعثرى فى دراستى الثانوية •• ولم يكن من المعقول أن أقف فى وجه ارادة والدى ، وهو رجل كان اذا حضر القى جميع الحاضرين بجـانبه •• لم تكن والدتى أو أخوتى أو أى قريب يمكن أن يقترح على والدى شيئا أو يعارضه اذا رأى هو أمرا •• وقد رأى أن يكـون زواجى من صديقه هذا ••

ومن ناحية أخرى •• كنت قد ضقت ذرعا بزنزانة البيت •• أصبح البيت بالنسبة لى سـجنا •• والدى فيه هو القضبان ، والسجان ، والسياط •• ووجـدت فرصـتى

الكبرى في الزواج ، فلأخرج من هذا السـجن ثم ليحدث ما يحدث وغدا سوف أكون صاحبة بيت أحكم فيه كما أريد .. وأيا كانت سيطرة زوجي فلن تكـون فى قوة أحكام والدى .. !

لا أقول زفونى اليه ، وانما أقول نقلونى الى بيته نقلا ، فالحقيقة والواقع أننى لم أشعر باحساس الانثى التى تزف الى رجلها .. كان يحاصرنى شعور غامض بأننى أنقل من سجن ثقيل الى سجن أخف قيودا .. قد يسمح فيه للنزيل بمزاولة بعض أعمال لم يكن يمارسها فى سجنه السـابق .. وقد كان .. !!

أصـبح لى مطلق الحرية فى أن أتزين كما أريد ، وان ارتدى من الملابس ما أريد وأن أطلب من زوجى كل ما يخطر ببالى ، ولم تكن مطالبى تخرج عن كل ما تطلبـه المراهقـة الصغيرة .. ولست أنكر أننى كنت مبهورة بلعبة الزواج، فرحة بها لا سيما عندما قيل لى اننى حامل ، واننى بعـد أيام سوف أصبح أما .. وأحسست برجلى يحوطنى برعاية خاصة ، وينظر الى بعين الوالد الحقيقى يود لو انه حملنى على ظهره ليجنبنى مشقة السير فى المنزل خوفا على الجنين ولم أكن أعرف أن زوجته السابقة قد طلقت لانها لم تلد .. رغم مرور عشر سنوات على زواجهما .. وأعجبنى هذا الدلال والتدليل .. ولم أشعر أيامها بفارق السن ، فلم تـكن له أعراض ، وحتى لو انها ظهرت لم تكن لى الخبـرة الكافية لمعرفتها .. !

ووضعت الطفل الاول ، وأحسست بعدها أننى أنفصل عن مرحلة من عمرى ، واجتازا مرحلة جديدة .. مرحلـة وجدت نفسى فيها أما ، وعلى أن أعتنى بطفـلى ، وأن أرعاه

وأن أحاول أن أعيش مستقلة بمنزلي ، وأن أستغنى عن خدمات والدتي وزيارتها التي كانت تطول وتمتد أياما بأكملها ٠٠ ولم يكن ذلك سوى التغيير الخارجي أما الداخلي فقد كان شيئا ليس سهلا ٠٠ انه معركة حقيقية داخل كيان الانسان ٠٠ كانت غريزتي تحملني مسئولية انجاب طفل اخر ٠٠ ولست أدري لماذا كنت أشعر انه كالشمس الغاربة على أن أسرع بالاستفادة من أشعتها المريضة قبل أن تختفي نهائيا ٠٠ وحملت لانجب طفلي الثاني ٠٠ وكانت قد مضت أعوام سبعة على زواجنا ٠٠ وبدأت عواصف العمر تطيح بقدرته الجسدية ٠٠ لكنه بدأ سعيدا لانه أنجب هذين الطفلين ٠٠ ولا يعنيه بعد ذلك من الدنيا شيء ٠٠ !

ولكن الامر بالنسبة لي كان يختلف ٠٠ كنت قد اجتزت حقيقة مرحلة غضة وتوغلت بي السن والتجارب داخل مرحلة ناضجة وفوجئت وأنا في قمة هذه المرحلة بأن الزوج الذي أنجب طفلين ، يشعر تماما انه قد انتهى من رسالته ، وان على أن أسير في ركابه فاستيقظ معه فجرا لكي أعينه على الوضوء والصلاة ثم أظل بعد ذلك في خدمته ، أعد له ما يلزمه ، حتى ينتهي اليوم ، وهكذا تحولت حياتنا الى جحيم ٠٠ أصبحنا طرفي نقيض ٠٠ اذا قال أحدنا الشرق قال الاخر الغرب بلا تفكير ٠٠ لا أحد من أقاربي الشبان يزورني ٠٠ ولا أذهب الى فرح مثلا الا اذا كان معي ٠٠ فاذا ضحك لي أحد أقاربي تحولت ليلتي الى نكد ٠٠ وهذا الفستان يكشف ذراعي لا داعي له ٠٠ وهذا الحذاء مغر جدا فاخلعيه ٠٠ وهذا الكحل لماذا يجعل عيونك جميلة فاغسليه ٠٠ وتسريحة شعر تجنن ٠٠ لا « لخبطي » كل هذا اذا أردت أن تخرجي ٠٠ حياة الموت أرحم منها بكثير ٠

ان طفلى الاخير عمره الان أربع سنوات ، وقد وضـــع بولادته نهاية لحيـــاتنا الزوجية الحقيقيـــة •• ان الشرع يعطنى الحق فى الحصول على الطلاق للاستمتاع بحيـــاتى •• وأعرف أن ذلك كان حقى منذ أن عجـــز عن ممارســـة الزواج ولكنى أمهلته كل هذه المدة عله يعالج نفسه أو يجد حلا يعفينا من هذه المتاعب •• وقد رفض أن يطلقنى دون ضجة ••

وتقدم من بين الصفوف رجل يناهز العقد السادس من عمره ، ولكنه ممتلئ بعض الشىء •• معتدل القامة •• أبيض الفودين •• قمحى اللون •• يرتدى بدلة داكنة •• يمشى معقولا لا يحاول أن يكون مرفوع القامة وعند المنصة وقف يقول :

سيدى القاضى :

لقد احترق السقف الذى كنا نعيش تحته •• أحرقتـــه ألسنة اللهب المتصاعدة من الخلافات التى تفتت فى خلق هذه المخلوقة •• ولم يعد هناك ذلك الغطاء الســـميك من المودة والالفة الذى يغطى البيوت ولم يعد لها حد تقف عنده فى عبثها ونزواتها •• لا سيما بعـــد أن مات والـــدها •• وكانت قد تأكدت من حبى لها ، وعطفى عليها •• فأصبحت لا تخشانى •• واثقة بأن رصيدها فى قلبى سوف يجعلنى أغفر لها كل ما ترتكبه من اثام واخطاء •• !

ولكن أوزارها تجاوزت الحدود ، واثامهـــا تجـــاوزت الغفران •• وكنت أرجو أن تكون قد تركت بابا واحدا من أبواب الرحمة •• الا أن ذلك لم يخطر لها ببال ••

لقد عاشت أعوامها الاولى معى تخفى ما انطـــوت عليه نفسها الخبيثة ، ومشغولة بالتفكير فى شحذ أساليبها لكى

تحصل على مبالغ كبيرة مني دون أن أدرى ولم يكن خافيا على ، وأنا كنت أرجعه الى ما عاشت فيه من حرمان ، وما قاسته في بيت والدها الذى كانت ترهقه كثرة الاولاد ، ولم أكن أريد أن أثير أية متاعب تصدمها في أحلامها .. فتركتها على سجيتها تفعل ما تريد .. واثقا بأنها في النهاية سوف تشترى ما تقصده مصاغا أو ملابس وهو في النهاية في بيتي ولكنها راحت تفتح لها دفتر توفير في البريد ، وشيئا فشيئا وجدتها تحولت الى جنون نهم شرس لا يشبع من « النقود » ولا تقف شهيته عند حد .. وبدأت كما تقول تكتمل أنوثتها نضجا ، ومع اكتمال أنوثتها أصابتها نزعات استعراضية مقززة .. أصبحت مفتونة بمحاسنها .. لا تسمع عن حفلة الا وتفرض نفسها عليها ولا يتزوج أبعد قريب لنا أو لاصدقائنا الا وتجدها فرصة لعرض جمالها ، ورقتها وصوتها على الجميع ، ولا تمر فرصة دون أن تؤكد لمن حولها انها مظلومة لانها تزوجت رجل في عمر والدها ..

وتتمصص الشفاه أسفا على شبابها الضائع ، ويتكاثر الشبان الذين يرثون لحالها ويلتفون حولها ، وهي سعيدة بكل ذلك مغرقة في صمتها حزينة من أجل عمرها الذى ذهب هباء ، ومطلوب مني أن أستقبل الوافدين لازجاء التعزية لها في شبابها ، وأن أرحب بهم في بيتي ، والا فأنا رجل غيور ..

وجدتها ذات ليلة في العاشرة مساء تجلس بمفردها مع شاب في الصالون وفتحت لى الخادمة الباب ،وعندما وجدت الصالون مضاء دخلته واذا بها تنحني عليه وهو جالس في مقعده وتقبله ، وتدعوني في بساطة الى مصافحته ، وعندما

وقف وجدته شابا تجاوز العشرين ، ولكنها مصرة على أنه ابن خالها الذى كانت تحمله على ذراعيها عندما كان طفلا ٠٠ أى طفل هذا ؟

هل رأيتم طفلا فى الحادية والعشرين من عمره ٠٠ ؟

وعندما صرفت ابن خالها بالحسنى ، وقلت لها أن هذا لا يليق بها كسيدة متزوجة ولها أطفال ٠٠ اتهمتنى بأننى رجل سىء النية ، ولهذا أسىء الظن بكل النـــاس ، وانها فوق ذلك ٠٠

ولم يعد ابن خالها يحضر ، ولكنها هى التى أصــــبحت تخرج كثيرا لالف سبب وسبب ، وحتى لا تكون هنـــاك معارك طلبت منها عدم الخروج الا وأنا معهـــا ، وتجـــددت المعارك لهذا السبب الذى ترى فى تنفيذه مساسا شـــديدا بشرفها وطهارتها ومع ذلك تتحدانى أن أطلقها ما دمت أشك فيها ٠٠ ولكن هذا الطلب يؤكد الشك ٠٠

كانت تعذبنى وهى سعيدة ٠٠ تفعل كل ما يجعلنى طعاما لذئاب الشك والتى تنشب مخالبها فى صـــدرى ، وتلعق بقايا دمائى التى يمتصها القلق ، تستفز كبريائى لطلاقها لان فى ذلك تحقيقا لاحلامها كما تظن ٠٠ غير مدركة ان كل هؤلاء الذين يحومون حولها سيولون الادبار عنها لحظـة علمهم بطلاقها لان التى تستهويهم هى المرأة المتزوجة السهلة فقط ٠٠ وفى كل مرة كان يدفعنى حرصى على ولدى ،وليس حبى لها كما تظن ٠٠ فهى قد فقدت حبى منذ أن حاولت أن أن تقنعنى بقصة ابن خالها ٠٠وقضت نزعاتها الاستعراضية على ما بقى لها فى قلبى من جذور ٠٠ وما كانت تنشره حولى من قصص وشائعات واخرها هذه الاكذوبة التى صـــدقتها

لكثرة ما رددتها ، ولم يحدث أبدا أن جعلت لطلاقها ثمنا كما تزعم ولكن فقط لم أقدم عليه من أجل أولادى ٠٠ !

المحكمة :

وجلس الرجل بعد أن عاد الى مكانه ، وصـــدر الحكم الذى جاء فى حيثياته : وحيث ان المدعية قد أصرت على أن زوجها لم يعاشرها معاشرة الازواج منذ سنوات أربع ولم يحاول المدعي عليه أن يؤكد للمحكمة ما يفيد العكس ، ولا يطعـن فى أقوالهـا بل حاول أن يبرر ما تدعيه بمبـررات لا تعتبرها المحكمة كافية ٠٠ ولما كانت التهم التى تبادلاها تجعل استمرار الحياة الزوجية مستحيلا ، وتجنبا للفتنة ، وصونا لعفتها بعد هجر طويل تجيبها المحكمة الى طلبهـا ، وتحكم لها بالطلاق وعدم تعرضـه لها فى شـــئون الزواج وتلزم المدعي عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ٠

الاستبداد

صاحبة القضية فارهة الجسد ·· محددة الاعضاء بارزة الصدر ·· شامخة العنق ·· أنثوية اللفتات ·· ينسدل شعرها الاسود على جبينها الابيض ·· أنفها دقيق ·· يبرز عند الارنبة برواز يميزه ·· ويشد معه شفتها السفلى الممتلئة بالرغبة في الحياة ·· يتزاوج على بشرتها الاحمرار والبياض تلقى بنظراتها كنداء ·· كالهام يدعو الى الانجاز والانتصار ·· وحينما نودى على قضيتها ، مضت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضي :

اذن فهذه هي النهاية ·· نهاية مرحلة من أجمل مراحل العمر ·· لم تكد تبدأ حتى جاءت نهايتها بسرعة لم تكن متوقعة ·· اللقاء الذى كان بيننا حدث في رحاب العمل ·· احدى سقطات العمل وقع فيها ،ولم يكن لها من حل الا عندى ·· ولجأ الى مع زميلة قديمة كانت شفيعته لكى أساعده على الخروج من الورطة ·· وكان ذلك يتطلب منى جهدا غير قليل ، ارتضيته حينما شعرت أنه كان حسن النية في الخطأ الذى سقط فيه ·· ومن جانب اخر أحسست انه يلتهمني بنظرات الاعجاب والتقدير وكأنه تلميذ أمام ناظر مدرسة ·· وتطلب ذلك أن يتردد على مكتبى بضعة أيام ·· وأنهيت ذلك التقرير الذى اقتطع منى بعض الليالى ،واجتاز

ورطته بلا عقوبات ودون علم أى رئيس من رؤساء الاقسام •• وفوجئت بهذه الصديقة تقول لى أن هذا الزميل ظروفه كذا • وكذا •• ونظرت اليها جيدا ، وكانت تفهم أسئلتي من ملامح وجهى •• فأدركت وارتبكت ، ثم قالت فى صراحة انه يوسطها فى عرض طلب زواجه منى •• !

كان الامر بالنسبة لى غريبا •• لماذا لم يعرض على رغبته بنفسه ؟

وعللتها الزميلة بأنها فرط حساسية وأدب شديد يرجع الى تربيته المحافظة •• انه ابن عائلة طيبة من أعرق عائلات ريفنا الطيب •• تلقى تعليمه حتى مراحله العالية •• الا ان المدنية لم تمسخ أخرقه •• ولم أرفض ، وطلبت منها أن تدعوه الى الغداء لكى يمكن أن نبحث فرص اللقاء •• وعرضت الامر على والدتى •• فهى مع شقيقين لى كل أسرتى بعد أن تركنا والدى الى زوجة أخرى •• وقص علينا فى البيت كل ظروفه •• لم يكن فيه ما يرفض من أجله •• وقلت له أننى أرتبط بوالدتى وبشقيقى ارتباطا عضويا من الصعب فكه أو فصله أو زحزحته •• وليكن ذلك حجر الزاوية الذى يدور حوله اذا كان يفكر جديا فى الزواج منى ••

وأقر كل ماقلته ، الا اننى خشيت هذه الموافقة التى دون معارضة •• فرفضت موافقته الفورية هذه ، ورجوته أن يتدبر الامور طويلا ، وان يستشير أهله أو بعض أصدقائه ، وبعد دراسة مستفيضة •• يمكنه أن يعلننى برأيه النهائى فى هذا الموضوع قبولا أو رفضا •

وتمت الموافقة •• قال ان كل ما معه سوف يدفعه كشبكة وأن علينا أن نقوم بالباقى ، ولم أناقش هذه النقطة طويلا

لان بيتى كان كاملا لا ينقصه أى أثاث .. وتزوجنا ،ومضت عدة شهور ليبدأ الزواج الحقيقي .. المعاشرة ، والاحتكاك، والمواقف التي تكشف عن النفوس المريضة ..

الرجل خيل اليه انه آدم الوحيد المدلل الذى يجب أن يبذل الاخرون فى سبيله ، دون أن يبذل هو أى مجهود .. فى مطلع شهر يحصل على مرتبه ثم يأتينى بقصة .. هذا الشهر نفقت جاموسة والده ، وعليه أن يبينه ولذلك فانه يرجونى أن أعفيه من دفع نفقات البيت .. والشهر الثانى دفع لشقيقه الاصغر نفقات عملية كانت لابد أن تجرى له، ولم يبق معه شيء والشهر الثالث تزوجت أخته ، وكان عليه أن يقوم بدور الاخ الاكبر الموظف ، وهو خجل جدا منى .. والشهر الرابع وقعت معركة بين والده ووالدته ، ووصل الامر للطلاق لان والدته فى حاجة الى كسوة وكان عليه أن يقوم بهذا العمل لاصلاح ذات البين .. !

بعد ستة أشهر كاملة .. لم يكن قد دفع مليما .. وكان يمكن أن أغفر له كل ذلك . لو انه كان صادقا فى القصص التى اخترعهـا .. غير اننى اكتشـفت انه كاذب فى كل ما رواه ، وانه يحتفظ بكل راتبه الا قليلا فى صـندوق الادخار .. وأدهشنى ذلك حقيقة .. وحينما ناقشته أصر على أكاذيبه . فواجهته بأننى ذهبت الى بلدته ، وعلمت من والديه انه كاذب فى كل ما رواه .. جن جنونه ، وحاول أن يتطاول على ، فطردته وطلبت منه أن يطلقنى فورا .. غير انه أصر أن يكون للطلاق ثمن لم يدفعه فى الزواج ..! مما دفعنى الى اقامة هذه الدعوى لطلب الطلاق للضرر أولا ولعدم التكافؤ ثانيا ..

وجلست السيدة ، ليتقدم الرجل الذى قالت انه زوجته

كل هذه العبارات الغريبة •• وكان رجلا مربعا •• حليق الشارب •• ممتلىء القسمات •• بارز الجبهة •• واسع العينين بشكل لافت للنظر •• حسن الملابس •• مشى فى خطوات واثقة نحو المنصة •• ووقف يقول :

سيدى القاضى :

لم تفزعنى كل هذه الاتهامات التى وجهتها الى السيدة فكل ذلك وأكثر منه كنت أنتظره منها •• هذه المرأة يا سيدى ذات نفسية غريبة •• والذى لم تذكره لكم هى انها كانت زوجة لرجل آخر ، وقد طلقت قبل أن أتقدم لها بسنتين •• وكان طلاقها ، وهذا وجه الغرابة ، لنفس الاسباب التى ذكرتها •• انها تعيش حياة مزدوجة فهى تشعر دائما بأنها فى حاجة الى الاستحواذ على كل ما هو ليس فى يدها •• كل ما يملكه الغير يلذ لها أن تملكه •• أن هذه الصديقة التى ذكرتها عرضا فى حديثها لم تكن صديقة ، ولكنها كانت خطيبة لى •• وعرفت ذلك •• فاصطنعت هذا الخطأ الذى دبرته لى تقريبا ، ومن خلاله استطاعت أن تعقد صداقة بينى وبينها ، حتى انتزعتنى انتزاعا من الزميلة التى كانت فى حكم خطيبتى ، وكانت سعيدة بهذا الانتزاع •• ولكنها ما كادت تتزوجنى ، حتى بدأت تمارس معى كل عقدها المترسبة فى أعماقها ••

لقد كانت الطفل الاول لوالديها ، وكانا يتمنيان أن يرزقا بولد ، وظل والدها ينفث فيها هذه الروح ، ويغرس فى يقينها انها الولد الاكبر للاسرة ومن هنا تأصلت فيها عادات الاستيلاء ، والانتصار ، والاستحواذ على كل مايمتلكه الاخرون •• ورغم اننا كنا قد اتفقنا على أن أدفع لها قدرا معينا من النقود كل شهر ، فانها لا تكتفى به •• فقد حدث أن كنت أمارس نشاطا خاصا بعد الظهر •• فى

تنظيم حسابات احدى الجمعيات وامتد هذا النشـــاط الى جمعيات أخرى .. كانت تدر على آخر الشهر مبلغا يوازى راتبي الاصلى ، وألحت في أن يكون لها نصـــيبا من هـذا الدخل بنفس القدر الذى تستولى عليه من الراتب ، ولكنى عارضتها في ذلك .. وكان مجرد معـــارضتى لها معنـاه عندها انني احتفظ بهذه النقود لصرفها على اخريات .. أى أخريات ؟ ومن أين لى بالوقت ، وعملى فى الليل والنهـــار لا يترك لى ساعة واحدة أريح فيها جسدى المرهق المتعب ؟!

وأصرت على انه يجب الا يكون لى أى مبلغ خاص ، وان من حقها أن تستولى على كل ما أكسبه لاعتبارى ملكا لها ، ومن حقها أن تستثمرني وان تحصل على كل انتاجى ، فى مقابل أن تقدم لى كل ما أطلبه .. نوع من الاســـتبداد ، والتحكم وفرض السلطة .. للقضاء على وجودى كانســـان صاحب ارادة .. وقاومت طغيانها ونصحتها مرارا بأن ذلك قد يجعلها تعود مرة أخرى الى لقب مطلقة .. فاذا بها تؤكد انها أصبحت لا تخاف ذلك اللقب ، وانها ترحب به لانهـا سوف تحصل منه على امتيازات أقلها مؤخر الصـداق .. فهل سمعتم من زوجة تقول مثل هذا ؟ ..

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

ومن حيث أن المدعية قد استنفذت كل الطرق السلمية ، وجلسات التوفيق العرفية فى الاصلاح بينها وبين زوجهـا الذى تزوجها بالعقد الصحيح المؤرخ فى ١٢/٥/١٩٦٩ وبعد الاستماع الى وجهتى نظر المدعى عليه والمدعية ، وبمواجهتها تجيب المحكمة المدعية الى دعواها ، وتحكم لها بالطلاق من المدعى عليه ، وبعدم التعرض لها فى الشـــئون الزوجية ، وبالزامه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

الحب ... والمستندات

صاحبة القضية لم تتجاوز السابعة والعشرين ، فارعة العود ، متناسقة الاعضاء .. بيضاء تغلب عليها السمرة ، في ملامحها أنوثة نفاذة الرائحة وتنتهي استدارة وجهها بغمازة في ذقنها بعيدة العمق تزيد من فتنتها وعندما اتجهت الى المنصة وقفت تقول :

سيدي القاضي :

منحته عمري ساعة بساعة .. ووهبته حبي بلا حدود .. وأضأت لياليه بأجمل أيامي .. وغسلت قدميه بسيل من دموع .. اسأله في ضراعة أن يحميني من أعباء كراهيته .. وأن يعفيني من محاولات النسيان .. غير انه ـ في نذالة ـ طرح مشاعري أرضا ثم وطئها بحذائه .. وداس قلبي في غرور الشياطين !

جمعتنا الدراسة الجامعية .. شدتني اليه رجولة كان يشي بها كفاحه العنيد .. فالى جانب دراسته كان يعمل حتى يحصل على قوته .. وذلك ما ملأ نفسي ثقة بمواطنه التي أبداها رائعة كطلعة الشمس ، شاملة كضوء النهار .. فحملت حبه في عيني .. مشفقة عليه من النظرات .. وخبأته في حنايا قلبي .. فقد كان غرامي البكر ، وفرحة عواطفي الاولى بهدية السماء !

وعندما أصبحنا في السنة النهائية لدراستنا طلبت منه أن يتقدم الى أسرتي لكي يؤكد جدية حبه ، وحسن نيته ،

ولكنه طلب منى الانتظار حتى نفرغ نهائيا من الدراسة ، وشاء سوء الحظ أن يتخلف هو وأنجح أنا ووجدت نفسى فى موقف سيىء أمام أسرتى ، فقد تقدم عشرات من أهلى يطلبون يدى ، وتلمست من الاسباب ما هو معقول ، وما هو غير معقول للرفض ، مما أثار والدى وجعله يسألنى عن الاسباب التى تدعونى للرفض ! .. وكانت لحظة قاسية أن اعترف له بأن أحد الزملاء قد خطبنى من نفسى ، واقنعت والدى بوجهة نظرى .. فوافق بعد أن تقدم اليه يطلب منه الانتظار حتى يحصل على مؤهله الجامعى ..

وجاء تعيينى سريعا نظرا لتفوقى فى الدراسة ، ومضى العام ليحصل على المؤهل ، ويومها سعدت فقد رأيت فى نجاحه نهاية لمتاعبى من نظرات الشكوك التى كان يرمقنى بها أهلى لتعلقى الشديد به ولكنه أمهلنى حتى تنجح محاولاته فى الحصول على تسوية طيبة له فى عمله أو يجد عملا جديدا يتناسب ومؤهله ، وأخيرا جاء عمله الجديد فى بلد اخر غير الذى أعمل فيه وأفزعه ذلك الا اننى وقفت بجانبه وقلت له علينا أن نبدأ من الصفر الى القمة ، ولم يصدق يومها قرارى ، وعد أهلى ذلك منى ضربا من الجنون .. وبدأنا نستعد .. أو بمعنى أصح بدأت أستعد وحدى فقد قال لى انه خالى الوفاض ، واننى سبقته بعام فى التوظف ، وكانت حصيلة راتبى من العام كلها ملكى ولم أشعره يوما بشىء .. !!

ومضى زورق حياتنا يتهادى .. يشق طريقه تحدوه رغبة صادقة مخلصة فى الوصول الى شاطىء الامان ، ولم أتنبه فى أول الامر الى الطريقة التى كان يتعامل بها معى .. لم أكن ألقى بالا الى المسائل الاقتصادية التافهة .. فقد

استقبلت الحياة معه كحلم كان جنينا في خاطري .. فلما جاء المخاض وأصبح الحلم حقيقة كاملة ، شغلتني لذة الاستمتاع عن الصغائر والمضايقات !

وأدركت انه يهوى النقود ، وان سعادته الكاملة في شيئين .. أن يعيش كما يريد ، ويتقبل مني الهدايا .. والا يطالب بشيء أكثر من نصف راتبه الذى كان يدفعه أجرة الشقة ،وحققت له هذه الرغبة حتى لا تجرنا المناقشات الى مهاترات تشغلني وتفسد على سعادتى التى صممت على ممارستها !

ولم أشأ أن أثير حكاية بخله أو تقتيره أملا في انه يقتصد من أجل بيتنا وأولادنا في المستقبل ولم يخطر في خيالي لحظة ان ما حدث يمكن أن يكون حقيقة أو خيالا .. ! فقد اكتشفت ذات يوم انه يقترض أيضا من بعض معارفنا وأمام هذه المفاجأة التى هزتني واجهته بما عرفت فأنكر ثم عاد فاعترف وتوالت اعترافاته تمزق الغشاوة من عيني ، وتعيدني من سماء الاحلام الى أرض الواقع البغيض .. ان المكافح الصغير سقط أخيرا في قبضة القمار والمائدة الخضراء .. وأبطره المال الذى جرى بين يديه .. وكانت أيام وضعي للجنين الاول تقترب فحصلت على أجازة ، وعدت الى بيت أبي انتظر الوضع ، وانتهزها فرصة ، واذا به يتصرف في الاثاث بالبيع ليرضي شهوته الحقيرة .. وجن جنوني ولم يكن أمامي الا أن أطلب الطلاق ، بعد أن جعلتني فعلته الاخيرة أكرهه بنفس القدر الكبير الذى أحببته به ! وكان يمكن أن أغفر له كل شيء الا أن يعتدى على بالضرب أمام الزملاء والزميلات ، والذى من أجله أطالب بالطلاق مع الاحتفاظ بكافة حقوقى !

وتقدم الى المنصة رجل فى حوالى الثلاثين مفرط فى الطول .. مفرط فى النحافة .. لبشرته لون الحطب ، ويختفى انسانا عينيه تحت بروز جبهته، ويرتدى بدلة خضراء قاتمة وكان يشرح قضيته كأنه يشرح درسا فى التاريخ قائلا :

سيدى القاضى :

الذى أشعر به الان هو الهزيمة .. تأكل مرارتها المنقوعة حلقى الجاف .. وتكوى فى التهاب حاد مؤلم كل احشائى .. كأننى ابتلعت فى لحظة خطأ حفنة من الدبابيس .. !

لم أكد أبدأ حياتى معها حتى علمت أننى لم أكن الرجل الاول فى حياتها .. قالت هذا وكأنها تشق كيانى لتقذف داخلى بقاذورات متعفنة وأكدت أنها كانت مخطوبة لاحد أقاربها ، وانها مازالت تحمل له بعض الحب فى قلبها ، وقد قامت حقا بكل شىء فى تجهيز الاثاث ، ولكنها لم تذكر لكم انها جعلتنى أوقع على عشرات المستندات التى تجعلنى مدينا لها ولوالدها ولوالدتها بثلاثة الاف جنيه ، وكان ذلك كله مقابل الاثاث الذى أعيش على جزء منه ، أما الجزء الاكبر منه فقد بقى فى منزل والدها لم يغادره ، ومع ذلك لم أحاول أن أعترض فى أية مرحلة من مراحل التعذيب التى وجدت نفسى فى نهايتها أسيرا تقيدنى غلال المستندات التى وقعتها وتشوينى الطريقة الفذة التى تعاملنى بها الانسانة التى اخترتها .. لتعذيبى !

ولم أحاول خداعها فقد كانت تعرف مقدما اننى أعول مع شقيق اخر لى والدتى واخوتى الصغار يعيشون فى قريتنا وكان ذلك يتطلب منى أن أرسل اليهم بعض راتبى ، ولكن المستندات التى كانت تحت أيديهم ضدى كانت تتطلب الوفاء أيضا على أجزاء شهرية ، وفى المناسبات لا سيما

الاعيـــاد كنت أجد نفسى ملزما بالوفاء لاهلى ، وتأجيـــل مستندات أهلها ومن هـــذه النقطة بدأ كل شيء ·· وقد لايكون من هذه النقطة ·· لانه لو لم تكـن هى البـــداية لبحثت عن بدايات أخرى ··

أخذت ترسم خطتها التى كانت تهدف الى اذلالى بشتى الطرق ، وفى مقدمتها أن تصر على أن تســـتقطع من راتبى القسط الشهرى ـ حتى لو كان ذلك على حســـاب اخوتى الصغار،فاذاطلبت منها أن تستقطع ذلك من مصروفات البيت الذى تتقاضاه منى قامت القيـــامة ، ونصب الميزان ولكنه ميزان مائل يجعلها في السماء ويجعلنى فى الارض ، ولابد أن أعود كل خميس بعد الظهر الى البيت لاجدها قد تركت بعض عملها مع رسالة تفيض رقة وعذوبة تخبرنى فيهـــا بأنها تلقت مكالمة من الدتها تزجوها الحضور ، وانها ستعود صباح السبت ، وان على أن أقوم بعملهـــا الذى تركت لى دوسيهاته فوق السفرة ، وهكذا أقضى يوم العطلة ســـجينا منفردا فى الشقة ، وأنجز لها ما كان يجب أن تقوم به من عمل حكومى ومنزلى ·· !

وأحسست انها استمرأت هـــذا التعذيب الذى أصبحت تمارسه أسبوعيا ، وحدث أن عدت ذات خميس ووجدت الرسالة كالمعتاد ، ولكنى تركت كل شيء وســـــافرت الى قريتنا ، ولم أعد سوى يوم السبت ، واذا بها تناقشـــنى كيف لم أوضح لها رغبتى فى الذهاب الى قريتنا ·· ثم كيف أذهب دون أن أنجز العمل ثم كيف ·· وكيف ·· وكيف ·· واذا بى أكتشف انها تريدنى أن أحصل منها على اذن بكل ما أريد أن أقوم به ·· !

وجاءت اللطمة الكبرى حينما حملت ·· حتى الاعمـــال

المنزلية أصبحت مطالبا بالقيام بها .. هذا مع الاستمرار في العجز على ٧٥٪ من الراتب للمصروفات والاقساط ، ولا يتبقى غير اعانة اخوتي .. وكان يجب أن تبقى لى من نصيبي راتب خادم لانني كنت أقوم بكل الاعمال ..

فكرت طويلا في الاستعمار الامبريالى الذى وقعت تحت طائلته ، وكيف أتخلص منه ، ولم يكن أمامي الا أن أثور على هذه الاقساط الوهمية وأن أرفض دفعها ، ليس هذا فحسب بل طالبت أن أمزق بيدى كل هذه الكمبيالات التي تكبلني وكانت أيام وضعها تقترب ، وذهبت لتضع ولكنها رفضت العودة ، وفوجئت منها بهذه القضية التي تدعي فيها انني اعتديت عليها وعذبتها وأهنتها ، والحقيقة أنه لم يحدث رغم انني كنت أتمناه !

المحكمة :

وجلس الرجل الذى كان في حالة عصبية ، وصدر الحكم الذى جاء في حيثياته :

وحيث أن العلاقات قد ساءت بين الزوجين الى حد تبادل التهم المخلة بالاداب ، وحيث أن الشهود قد أكدوا وقائع اعتداء الزوج على المدعية مما يهدر كرامتها كسيدة تعمل في مهنة محترمة .. ولما كان الضرب كما تبين لم يكن للتعذيب ، وانما لعوامل اقتصادية لا يبيح الشرع الضرب من أجلها وبناء على هذه المذكرة المكتوبة من النيابة فان المحكمة تحكم للمدعية بالطلاق ، وبعدم تعرض المدعى عليه لها في شئون الزواج وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

مذبحة ... الأحلام .. !

صاحبة القضية أقرب الى الخامسة والثلاثين •• رائعة القوام •• فاتنة التقاطيع تغمض عينيها في سحر •• تفرش رموشها على خدها الابيض ، كظلال نخيل فوق صفحة مياه في ليلة مقمرة •• تحني رأسها لتتفادى النظرات ، وابتسامة طفلة تحبو على شفتيها ، وشعرها الاسود يهدهده الهواء على كتفيها وفي عينيها ألم جريح كسير ، وحينما نودي على قضيتها اندفعت الى المنصة تقول :

سيدي القاضي :

الذي بصدري فوق الكلمات •• وأكبر من العبارات •• انه ألم ثقيل •• كالرصاص •• جعلني خرابا من الداخل كبقايا حريق •• فقد حملت اليه اخلاصي ، فوق مهد من مشاعري •• فانقض بحماقاته يخنق أمنياتي في طفولتها •• وعلى أصابعه دماء أحلامي الذبيحة •• يسحق عواطفي ويمضي كأنما يخترق رأسه طبقات السحاب •• !

بدأنا معا جولة الحياة •• كان يزحف نحو الشهرة في عمله في بطء قاتل يعمل في حقل السينما كمخرج صغير •• يقضي معظم أشهر السنة بلا عمل وأنا أبذل في عملي جهودا مضاعفة للحصول على أجور اضافية •• فوظيفتي كشهادتي متوسطة •• ولكني كنت أصون بعملي هذا ماء وجهينا من أن يراق أمام الاقارب والاصدقاء •• وحتى بعد

أن اشتد ساعده ، ولم يعد يتعطل •• لم أشأ أن أضايقه •• مستهدفة التخفيف عليه أولا •• ولكي أوفر له المظاهر التي يتطلبها عمله ثانيا •• وخلال الاعوام الاولى رزقت بطفلة •• وأصبحت موزعة بين الطفلة والبيت والعمل •• ومع ذلك أشفقت عليه من استقالتي •• وآثرت المتاعب على مضايقته •• وهدني الجهد •• وأضناني العمل •• وأعطب الهم الدائم •• ولكني كنت راضية •• قانعة بالساعات القليلة التي يقضيها معي ••

الى أن كان ،عامنا السادس •• بدأت أشعر ان الانهاك يوشك أن يقتلني •• فبالاضافة الى كل متاعبي كان نجاحه في عمله يلقى على تبعات أخرى •• فالبيت لابد أن يظل ساهرا •• ولا يمضي أسبوع واحد دون وليمة كبرى تتطلب مني العمل في المطبخ عدة ساعات ••

وجاءت شقيقتي لكي تلتحق بالجامعة ، ووجدتها فرصة سانحة •• فرجوتها أن تقيم معنا •• ترعى طفلتي في غيبتي ، وتعاونني في شئون المنزل •• وأحسست انني لا أقطع رحلة الحياة وحدي •• أما هو فلا يكاد يهجع الى البيت الا في الهزيع الاخير ، واذا عاد مبكرا فهو مع شلته وضيوفه •• !!

شهور فقط وعرضت على شقيقتي أن تسكن بعيدا عنا ولم تذكر لي أي سبب سوى رغبتها في الانقطاع التام لدروسها ولكني توسلت اليها الا تتركني وحدي ، وحين ضغطت عليها بالحاح أن تذكر لي السبب •• قالت أن زوجي ينظر اليها نظرات غير مريحة ، وتخشى أن تكون قد ضايقته •• وما كدت أذكر ذلك أمامه حتى أقسم بالايمان المغلظة انه لا يشعر نحوها الا بكل ود •• وانها واهمة

لا أكثر ولا أقل .. ولكي يؤكد لنا ذلك دعانا الى عشاء ونزهة خارج المنزل .. !!

وأحسست أن القصة وقفت عند ذلك الحد .. غير أن شيئا ما يكمن في صدري جذب مشاعري الى حرارة العلاقة التي قامت بين شقيقتي وزوجي .. اهتمامه المفاجيء بكل طلباتها .. الجلسات المطولة التي بدأت بينهما .. محاولته البقاء فترات أطول في المنزل .. اللمعان واللهفة في عيني شقيقتي كلما دق جرس الباب .. وذلك ما لم تستطع أن تخفيه .. وحاول الشك أن يدق في أعماقي أجراس الخطر .. غير انى خنقته وطردته في اصرار .. طاردته بالثقة .. الثقة المفرطة في أنوثتي .. الثقة في زوجي .. الثقة في شقيقتي .. كل هذا مجتمعا .. جعلني لا أعير ذلك الشك أهمية .. وكان ذلك الخطأ بعينه .. !!

وجاء طفلي الثاني .. واستغرقني كل شيء حولي الا ذلك الشك .. ولكن في عيون الجيران كانت أسئلة مبهمة .. كل جارة تعطيني ظهرها تترك خلفها كتلة كلام لا تفاصيل لها .. الجو في البيت يوشك أن يختفي وأيد خفية تلكزني ولكن ليس في يدى الدليل ..

وذات يوم سييء الحظ وجدت تحت وسادة شقيقتي الدليل .. تذكرتان لدخول البرج ارتبكت حينما سألتها .. ضغطت عليها فبكت .. وحينما جاء واجهته .. لم ينكر ، حاول أن يبرر ذلك بأنه كان يحل لها مشكلة خاصة مع زميل لها في الجامعة .. كان في حالة دفاع عن نفسه .. وطردت شقيقتي وجئت أطلب الطلاق لانه أولا خانني ، وثانيا لانه أهانني وأضرني .. ومزق أسمى رابطة بيني وبين أهلي بفعلته القبيحة .. !

وجلست السيدة ليتقدم الصفوف رجل في حوالى الاربعين أو بعدها بقليل طويل عريض .. يرتدى الملابس الانيقة .. يميل الى السمرة .. على عينيه نظارة سوداء .. يسير في خفة رغم ضخامة جسده وعند المنصة وقف يقول :

سيدى القاضي :

سنوات ست وانا أعيش فى جحيم نهايته تقطعت على الباب منذ اليوم الاول .. كانت النهاية موجودة منذ اللحظة الاولى .. كل ما كان يمنع وقوعها هو انها كانت مؤجلة .. الغيرة الحمقاء التي لم يتعذب انسان في نيرانها كما تعذبت ولسانها السليط الذي لم يخلق مثله لسان في فم .. طريقة عرضها للتهمة وجمعها للادلة والاستشهاد بها .. كل ذلك كان من شأنه أن يشدني الى الخلف كلما تقدمت في عملي خطوة الى الامام .. ولقد قضيت عشرات الليالى أفكر في الخلاص منها من أجل الحفاظ على عملي ومستقبلي وخوفا من اندفاعى في مأساة تسلمني فى اخر العمر الى السجن .. لا .. ليست غيرتها من النوع المهذب الذى يمكن أن يطاق .. انها غيرة سافلة .. حقيرة المعاني بشعة الاتهامات .. لا تعف عن الصاق أية تهمة .. وقد يدهشكم انها تتهمني مع شقيقتها غير مبالية ، بسمعة شقيقتها كطالبة جامعية .. انها لم تتورع أن تتهمني مع أية انسانة أخرى مهما كانت درجة قرابتها لها أو لي .

انني أتقزز من تفكيرها .. أقشعر من الاقتراب منها .. يدركني الغثيان كلما تذكرت ماذا تقول عني عند الجيران والاقارب .. لقد تركت لها المنزل بعد أن أتهمتني مع شقيقتها .. ولم يكن في وسعي أن أفعل غير ذلك .. على

الرغم من أن حقيقة الموقف هو أن شقيقتها روت لى انها على علاقة بزميل لها فى الجامعة ‥ ريفى الاصل والتربية ‥ ويزمعان الزواج لكنه لم يعترف لها بالحب ‥ وهى تريد الحصول على مشورتى ‥ وهذا ما دعانى الى لقائهـــا فى الخارج لانها لا تريد أن تخبر شقيقتها بالقصة وكان يجب أن تصدقنى ، هذا اذا كانت زوجـة أخرى غير زوجتى ‥ ولكنها كما قلت لكم سافلة الغيرة ‥ ولهذا لم تكتنف بمـا فعلته ‥ بل راحت تطوف على بيوت الاقارب والاصدقاء ، وتروى القصة لكل من تلقاه حتى سائقى التاكسـيات ‥ وتذكر لهم اسمى وصناعتى ‥ فهل يمكن أن يكون مثـل هذه الاعمال صادرة من سيدة عاقلة ؟ وهل يمكن أن تكون صادقة فى ظنونها ‥ ؟

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث أن المحكمة تأكدت من أن المدعى عليه يتطاول على المدعية بالضرب والاهانات المتكررة لمحاولتها صـــده عن نزواته مع المعارف والجارات ، ولما كانت قد جاءت بشاهدة تركت العمل عندها بسبب مطارحته الهوى لها وبمناقشتها وباقى الشهود من المشهود لهم بحسـن السـيـر ، والذين حضروا مجالس توفيق متكررة ‥ ثبت للمحكمة صحة ماتدعيه المدعية ‥ مما ترتب عليه اصابتها بالضرب والاهانة صحيا وأدبيا ‥ وعلى ذلك فان المحكمة تحكم لها بالطـلاق من المدعى عليه مع عدم تعرضه لها فى الشـئون الزوجية ، وتلزمه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

الطريق إلى .. الحياة

صاحبة القضية تجاوزت الخامسة والثلاثين ، رائعة التكوين ، متناسقة الجسد تفوح من تقاسيم أعضائها رائحة النضج الانثوى ٠٠ وفي عنيها نظرات صاخبة ، عاصفة ولبشرتها لون سنابل القمح أيام الحصاد ، وصغر أنفها وابتساماتها المرتسمة على شفتيها في بساطة ، وذقنها المدبب ٠٠ يجعلها تحمل وجه طالبة شقية تجتاز فترة المراهقة ٠٠ وحينما نودى على قضيتها خرجت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضي :

كل ما يمكن أن أقوله هو أنني سيدة سيئة الحظ ٠٠ ضاع منها خيط الحظ وهي تحاول أن تنسج به ثوب حياتها ٠٠ بعد أن كست الجميع ٠٠ بدأت حياتي قبل البداية الطبيعية ٠٠ فقبل أن أصبح واعية مدركة جيدا لما يدور حولى ماتت والدتى ، وتركتنا خمسة أطفال كنت أنا أكبرهم ، وهكذا كان على أن أقوم بدور أكبر من كل مقوماتى ٠٠ تحولت وأنا في الخامسة عشرة الى أم ، ولكننى كنت أما كثيرة المسئوليات ٠٠ لابد أن أذاكر دروسى ، وأن أخدم اخوتى ، ووالدى وأن أبذل لهم أمومة من قلب لم تكتمل فيه الانوثة فضلا عن الامومة ٠٠ كانت فترة صعبة ومرهقة ، وتحولت الى نصف عمرى ، فقد مات والدى ، واضطررت أن أواصل رعايتى لهم حتى حتى استغرقت هذه الفترة نصف عمرى ، فقد بقيت حتى تخرجوا جميعا من

المدارس ، والتحقوا بالوظائف ، واستقلوا بحياتهم وخلال ذلك كنت قد اجتزت الثلاثين ودخلت المرحلة التي تخيف كل امرأة تجتازها وحيدة .. ولم أدخلها كما تدخلها أية امرأة بل دخلتها وانا ممارسة للامومة كانت عاطفة الامومة فى جسدى قد نمتها الممارسة ، ومع الامومة كانت تطل أنوثتي فى عنف فأغلق فى وجهها النوافذ ، وأحكم حولهـا كل المغاليق .. ولكنهـا رغم ذلك كانت تدمدم داخـلى وتؤرق خواطرى خاصة وقد أصبحت وحيدة .. أملك بيتـا خاليا اعيش فيه مع أمومة مفقودة ، وأنوثة تئز وتطن فى كيانى كالبترول تحت الارض .. !

وألقت به الصدفة فى طريقى .. لقيته بحكم العمل ، كان قد جاء الى المديرية التى أعمـل بها لامر يتعلق بابنته التى كانت فى الثانية عشرة وفى أثناء الحـوار معه عرفت انها بلا أم ، وانه يعيش بلا زوجة .. ولكنه لم يوضح لى ما اذا كانت قد ماتت أم طلقت .. وفي لقـاء اخر عـرفت انها حصلت منه على الطلاق بعد فضيحة ، فقد أحبت رجلا اخر وتزوجته وأوجعت خاطرى قصـته .. وأحسست بمأساته تلتهم كل تفكيرى .. وتجعله قريبا من عواطفى ، وجاءنى يعرض على الزواج ، وبقيت حائرة .. أنا خائفة مترددة من وظيفة زوجة الاب ، ولو كان ذلك لفتاة كأبنته .. أحببتها وأحببتنى بطريقة تفوق حب الام والابنة ، ولم يكن بين المتقدمين منهو خير منه . فالشبان ماعادوا يعجبوننى وما عدت أعجبهم ! .. والكبار كانت ظروفهم أسوأ بكثير من ظروفه ، ولم تكن موافقتى بكل ارادتى الكاملة بقـدر ما كانت ضغطا من الظروف التى تحيط بى .. أخشى أن يفوتنى قطار الزواج وأظل وحيدة على المحطـة الخـالية . الفارغة .. مع الريح ، والبرد ، والصمت كل ما فيه كان

يرشحه لان يكون زوجا ناجحا .. فهو موظف كبير .. مرتبه لا بأس به .. اجتاز الاربعين بقليل .. له دخل اضافي يأتيه من أملاك ورثها .. وليس له غير هذه الفتاة ، وتزوجنا .

أقدمت على الزواج منه بكل ما في شحنات للامومة المنطلقة وشحنات الانوثة الحبيسة وأغدقت كل امومتي على الفتاة ، ووضعت كل أنوثتي بين يديه ليحركها ويدفعها نحو امومة حقيقية بدلا من هذه الامومة البديلة التي أمارسها .. وطال انتظاري ليكتشف كنز أنوثتي انه ضل الطريق اليها وانه يسلك مسالك تؤدي به في النهاية الى لا شيء .. واللهب المستعر في جسدى يتزايد كلما أحسست انني أرض خصبة .. رميت بمحراث صدىء يوشك أن يفقدها خصوبتها .. وبدأنا جولة طويلة عند الاطباء كلانا يمضي فيها من وراء الاخر حتى يتأكد انه ليس هو السبب في عدم الانجاب .. وكان الشك كله يتراكم حولى ويضع غلالة تحجبنى عنه وتحجبه عني .. وكان فى يده الدليل على انه أنجب .. ! أما أنا .. ؟ وجاء العام الثالث وكل ما حولنا يؤكد اننا نعيش فوق بركان .. أكثر من عشرة أطباء أكدوا لى اننى سليمة الخصوبة ،وانه يتحمل وحده مسئولية عدم الانجاب .. وبدأنا نعيش الحياة بظهورنا .. كل منا لا يريد أن تقع عيناه على الاخر .. كأن النظرة هي عود الكبريت الذى سوف يفجر برميل البارود .. الى أن جاءت اللحظة التى كنا نتوقعها معا .. ونخشاها معا ، وانفجر .. وانفجرت ، وقال لى ما يسيء الى رجولته .. وقلت له أنني أدركت الان فقط سر هروب زوجته الاولى .. واننى أطلب الطلاق حتى لا أجد نفسى مدفوعة الى نفس الطريق .. !

وجلست السيدة وجاء من بين الصفوف رجل فوق الخامسة والاربعين ، متين البناء •• عريض المنكبين •• يمشي الشيب في رأسه وشاربه على مهل •• شديد العناية بملابسه •• كل ما فيه ينبيء عن الوظيفة الخطيرة التي يشغلها وسار في تؤده الى المنصة ليقول :

سيادة القاضي :

انتهت اللعبة التي ارادتها تلك العانس ، وكان لها ما أرادت ، وحلت عقدتها على يدي ، ثم راحت تشيع وتذيع أنها ضاعت ، وان القدر الذي بها في طريق خاطيء يكاد يفقدها أنوثتها •• وهنا مكمن الداء ، والامر الذي أحب أن أوضحه أمام المحكمة ! •

لقد التقيت بها ، وهي فوق الاربعين ، وليست كما تقول في الثلاثين ولكنها كانت قد اعتادت التزييف منذ أن كانت صبية في الخامسة عشرة ، وهي تزيف كل شيء في وجودها •• كانت تزيف عواطفها لتنافق اخوتها ، وكانت تمسك بهم وبهن حتى تمنعهن أكبر فترة من الزواج خوفا على نفسها من الوحدة • وكانت تنافق حتى مرآتها •• وأصبح النفاق طابع حياتها •• مما جعلها توحي في يقين الى نفسها بأنها مازالت شابة •• واحتفظت في عينيها بنظرات الفتيات البريئات •• ولكن ذلك لم يعف جسدها من ان يمضي في طريق السن الطبيعية ، وأن تتخلى عنها القدرة على الانجاب وتحال انوثتها الى المعاش بدون الحصول على أذن منها ••!

ولقد كان اختياري لها ــ بعضه لا كله ــ مبنيا على هذه النقطة الا ان الحياء كان يمنعني من مجابهتها بذلك حتى لا أفصمها في أحلامها • • وبقيت طول مدة حياتنا أنظر اليها باشفاق وأنا أراها تنفق كل مرتبها على الاطباء وغير الاطباء

من السحر ، وكتاب الاحجبة .. لا أريد أن أتدخل حتى لايفزعها أنني أعرف .. وكان يمكن أن يستمر كل شيء على ما هو عليه .. لو لم تقتنع من هؤلاء السحرة والدجالين بان عدم الانجاب سببه أنا ، وهي صالحة وسليمة ، ولا غبار على انوثتها .. لان أحدا من هؤلاء لايريد أن يقول لها ان انوثتها جفت ، وأن ينابيعها نضبت .. لانها تمنحه بسخاء كلما أسمعها ما تحب أن تسمعه من كلام ، وان كانت هي تؤمن بأنه مجاف للحقيقة .. وتحولت بالتدريج الى مخلوقة ملئت بالحقد والحسد على ابنتي لا لشيء الا لفشلها في الانجاب ، وراحت تناصبها العداء الجنوني غير المقنع .. وأعلنتها حربا لا هوادة فيها على الفتاة اليتيمة من حنان الأم ، وأذهلتني تلك الروح العدائية منها ، وحاولت أن أتحسس ينابيع هذه الثورة في أعماقها فاكتشفت هذا الرأى المضلل الذى بنته على ضلال ،وعبثا حاولت أن أجعلها تدرك خطأها بكافة الوسائل ، مما جعلها تناصبنى العداء أنا الآخر وتعلن على الملا اني أتحيز لابنتي وانني .. الى آخر ما قالته عني الان ، وبدافع من المودة التي كنت أحملها لها .. أبقيت عليها غير انها رفضت ، وأرسلت تطلب الطلاق ، وتضع له الشروط المجحفة ، ورغم ذلك قبلت .. وقبل أن تنتهي المفاوضات بيني وبينها فوجئت بها ترفع هذه الدعوى طالبة الطلاق !

المحكمة :

وجلس الرجل الوقور الذى أثار الجميع بقصته وصدر الحكم الذى جاء في حيثياته :

وحيث ان المدعى عليه اعترف بأنه وافق على طـــلاق المدعية ،ولكنها فاجأته بالدعوى قبل أن يمضى فى الاجراءات الرسمية ، وحيث أن المدعية ترى ان استمرار الحياة معه يعرضها للضرر وتخشى على نفسها من الفتنة لعجـــزه عن تقديم المتعة الشرعية التى تتطلبها الحياة الزوجية الصحيحة ونظرا لاصرار كليهما على الطلاق ، تحكم المحكمة بالطـلاق من المدعى عليه وبعدم التعرض لها فى الشئون الزوجية . والزامه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ..

جفت الينابيع !

صاحبة القضية فى حوالى الثلاثين ، معتدلة القوام ، يمتلىء جسدها بالشباب ، ولها وجه مستدير يحمل ملامح جذابة ، وشعرها الاحمر يطوق نصف وجهها فى اغراء ، ويكشف عن عنقها الطويل الشامخ ، وفى عينيهـا كانت تتمثل مأساتها في حزن عميق يثير الشفقة ، وعندما وقفت أمام المنصة قالت :

سيدي القاضي :

دعونى أقول لكم بعض متاعب الطريق المفروش بالدموع الذي أقف الان على نهايته ورغم ما يملأ حلقى من غصـة مريرة ، فان الالام تدفع الكلمات النابعة من قلبى دفعـا يجعلها تخرج من فمى مجهضة ناقصة الحروف فقدت بعضها فى اللهب الذى يشتعل فى أحشائى .. !

كانت تحجبنى عن الحياة بعد مأساة زوجى الاول غلالة سوداء .. عشت داخلها مع طفلتى منه التى أصيبت بالشلل بعد وفاته ، وضاق بنا بيت والدى فقد كان ذلك المرض الذى أصابها يتطلب الكثير من المال والجهد والعناية ولم يكن وقد مات فى شبابه قد ترك لنا ما يمكن أن نواجه به هذه المطالب .

وخيمت الكآبة على ، وتسللت الى داخلى ، حتى خلت نفسى أرتديها ثوبا غير منظور تحت جلدى .. ! وتمنيت الموت فقد كانت الرحمة الوحيدة التى يمكن أن تعدنى بها

المساء حلا لمشاكلي .. هي الموت !!
وخلال هذه الرحلة السوداء تقدم هو كومضة برق في ليلة تملؤها السحب الداكنة واقتحم حياتنا كفارس أحلام يتيه خيلاء داخل عباءته الشرقية ، وفي قلبه شهامة عريقة الجذور وفي عينيه شوق الى الحياة ، وفي يديه المال الذي يكفل الاستقرار لهذه الحياة . !
وقلت له أنني امرأة ذات مأساة ، ليس من الهين على أن أدع طفلتي أو ألفظها من حياتي لاخلو اليه وأسعده كزوجة أو أمتعه كأنثى ، وان مأساة طفلتي وان كانت لم تترك بصماتها على جمالي الخارجي الا انها شوهت نفسي ، وجعلتني دميمة المشاعر ، قبيحة الاحاسيس ، لا أكاد أفكر الا فيها ، ولا يخرج خيالي عن دائرة دائها العضال ، في انتظار المعجزة التي ترد اليها صحتها ، ورغم عنف ردودي عليه الا أنه تقبل كل شروطي في مرونة مشكورا ، وأضاف أنه سوف يتيح لابنتي كل فرص العلاج في الخارج ، وانه يقبل عن طيب خاطر أن يجعل من طفلتي أرضا خصبة يزرع فيها حبه في قلبي ، ويملك من خلالها تلك النفس التي تلف حولها غلالة من الاحزان .. !
وعدت أؤمن بأن الارض تنبت من الزهور أضعاف ماتنبت من الاشواك ، وان بعض البشر يعيشون على الارض بقلوب الملائكة ، وسلمت له أمري بعد أن عرفت انه من كبار التجار في القطر الشقيق الذي جاء منه،وبدأت الاستعدادات للزواج وأخذني الى احدى العواصم العربية لقضاء شهر العسل الذي أقنعني خلاله بأن أترك طفلتي في القاهرة بعض الوقت ريثما ينقضي ذلك الشهر ثم نعود الى القاهرة لنأخذها معنا الى بلده تمهيدا للسفر بها الى الخارج .
وانقضى شهر العسل وهيأت نفسي للعودة الى القاهرة ،

واذا به يركب الطائرة المسافرة الى بلده، وحاول أن يفهمنى انه أتفق مع والدى على أن يرســـل له مبلغا من المال كل شهر لكى ينفقه على علاج الطفلة ، وانه ســـوف يعمل على الحاقها بنا فى بلده بدلا من سفرنا الى القاهرة والعودة ·· ورغم انه كان يتحدث فى عذوبة ورقة متحسـنا ألفـــاظه وعباراته فان مرارة مفاجئة ملأت فمى ثم انسابت الى حلقى مع لعابى لتختلط بكل قطرة فى دمى ·· تمت اللعبـــة وفصلنى عن ابنتى ، ولم أعف والدى ووالدتى من المسئولية فلقد باعا البقرة الحلوب لدفع الثمن بعد أن فصلوا صغيرها عنها لانه يحط من ثمنها فى السوق !

وأحسست اننى أمتلىء احتقـــارا لكل شيء ، لنفسى وله وللوجود الذى أعيش فيه وللانفـــاس التى أتنفســـها ، وللرابطة التى ربطتنى به وانتزعتنى من طفلتى ، وعجزت عن أداء دور الزوجة العروس ·· جفت أنوثتى ، وزايلتنى رغبتى فى الحياة ، وأحس هو بما اعترانى فأرسل يطلب طفلتى من القاهرة ·· !

وعادت الى بوصولها بعض مظاهر الحياة ، ومع ممارستى لامومتى تفجرت ينابيع أنوثتى فياضة بلا حدود ، ورحت أحاول الافراط فى الحنو عليه مذكرة اياه بوعوده لعـلاج الطفلة فى الخارج ونهر من الحب يتفجر من أعماقى ليجرى تحت قدميه لقاء تنفيذه لهذه الوعود التى كان يماطل كل يوم فى تنفيذها فلما نفد عني صبرى وواجهته بأنه غير جاد فيما اتفقنا عليه راح يخلع كل ثياب البطولة الزائفة التى كان يرتديها ، وأعلنها فى سفالة انه ليس على اســـتعداد لانفاق ماله على أطفال الغير ·· !

وبعدها أعطى لنفسه الحق فى تعذيبى ، وفى الاعتـداء على بسبب وبغير سبب ، وكان يمكن أن يهـون كل ذلك

لولا انه اعتدى ذات يوم بالضرب على الطفلة الكسيحة ، فكان ذلك فوق ما تحتمل عيناى رؤيته ، فأصبت بصدمة عصبية أثر ذلك جعلتنى لا أرى النور بضعة أشهر .. ولذلك فأننى أطلب الطلاق منه ..

وجلست السيدة الجميلة ، وجاء من بين الصفوف رجل في حوالى الاربعين يرتدى الملابس الشرقية ، لوجهه لون الحطب الجاف ، وفى عينيه اتساع مخيف وأنفه يبرز من بين تجاعيد وجهه ، وتغطى ذقنه شعيرات اختلط فيها السواد بالبياض ، وفى وجنتيه بروز يجعل وجهه كمثلث مقلوب قاعدته تختفي تحت العقال وطرفه ينتهى بالذقن ، وعند المنصة وقف يقول :

سيدى القاضي :

ليتنى كنت كما حاولت أن تصورنى فى روايتها .. معدوم الانتماء الى الاسرة الانسانية ، لا تشغلنى سوى غرائزى ، ولا تحركنى سوى مصالحي الشخصية والا لما سخوت عليها حنانا وحنينا نفذا الى أعماقها الضائعة لأروى جفاف عواطفها التى أحرقها هجير مأساتها ، ولما أغرقتها فى سيل من مشاعرى الدافقة أغسل بها أرض قلبها الذى غطته حشائش الاحزان المتوحشة ، فلم يعد صالحا لاستنبات الحب من جديد .. لقد استصرخت في أعماقى كل انسانيتي، واستفزت شهامتى بقصة طفلتها ، وقبلت فى أول الامر أن أجعل لها راتبا شهريا فى حدود الخمسين جنيها كمصاريف علاج ومعيشة على أن تظل فى القاهرة خلال الشهور الاولى لزواجنا فلم يكن من المعقول أن تحمل العروس القادمة طفلة فى الرابعة من زوج سبقنى اليها .

ورغم أن ذلك تم بموافقتها فانها ما كادت تستقر فى

بلدى حتى حولت كل دقيقة فى حياتى الى جحيم ، لاحديث لها الا عن الطفلة .. كيف تعالج ؟ وكيف تأكل ؟ وكيف تعيش ؟

وأصرت على أن أجيء بها اليها ، وأمام دموعها ارسلت فى طلبها ، واستمر العلاج على أرقى مستوى وبكل التضحيات ، وكان المنطق يقتضى أن تحمد لى صنيعى ، وتقدر هذا الجميل الذى بذلته لها من أجل وضع ابنتها تحت بصرها وعلاجها .. ولكنها اعتبرت ذلك واجبا على أن أقوم به ، دون النظر الى أى جزاء ، وأغرقت نفسها فى الانكماش بعيدا عنى ، حتى وجدت نفسى ذات يوم واذا بى بلا مكان فى قلبها على الاطلاق ، وكل نصيبى من حنانها ما يتساقط من مائدة طفلتها ، ورفضت كل دوافعى كزوج وكبر على أن أجعل من الطفلة الكسيحة غريمة لى ،وحاولت اقناع نفسى بأنها ما زالت صريعة مأساتها ، وان الايام كفيلة باعادتها لى ..

وفجأة أصرت على أن تسافر بها الى أوربا أو تعود الى القاهرة ، وكان ذلك فوق ما أحتمل ، وواجهتها بكل ماكنت أكتمه فى ضلوعى من آلام .. قلت لها أن تعلقها بطفلتها هذا التعلق يذكرنى دائما بأنها لم تحولنى فى ضميرها الى زوج حتى الان ، وانها مازالت تعيش فى ذكرى زوجها الاول وان ذلك يحطمنى ويمزق رجولتى ، وانها يجب أن تلغى فكرة سفرها الى أوربا ما دام الاطباء أجمعوا على امكان علاجها فى الشرق .. ولكنها ركبت رأسها ، وعادت الى القاهرة ومع ذلك لم أقطع عنها المصروفات التى تطلبها وظلت ستة أشهر كاملة تعيش فى القاهرة ، وأنا أواجه نظرات كل أقاربى القاسية فى بلدى ، وجئت أرجوها أن تعود الى بيتها ، ولكنى وجدت فى القاهرة السر الذى كانت

تخفيه .. !

أن عودتها الى القاهرة لم تكن من أجل طفلتها ، ولا من أجل علاجها فى القاهرة ، ووجدتها قد تركت طفلتهـا مع والدتها وذهبت الى الاسكندرية تزور احدى خالتها ، وعندما جاءت قالت انها سمعت عن طبيب ماهر في علاج شـلل الاطفال هنـاك فذهبت تستـشيره ، وتركت الطفلـة فى القاهرة .. أصبحت تطيق البعد عن طفلتها التى عذبتنى من أجلها ، ولكن كل ذلك انكشف عندما عرفت أن قريبها هذا هو الذى رافقها فى هذه الرحلة .. !

وعافت نفسى هذه السيدة ، وأدركت ان لهفتهـا على القاهرة لم تكن من أجل الطفلة ، وانما من أجلها هى .. من أجل قلبها ، وعرضت عليها أن تعـود ، ولكنهـا تذرعت كالعادة بحجج واهية ، وعدت الى بلدى ، نفسى بذور الشك ترويها الوقائع التى وضعت يدى عليها ، وكان طبيعيا أن أقطع عنها المصروفات .. !

ورغم كل شيء فانني مازلت على استعداد لان أفتح قلبى وبيتى لها اذا ما عادت معى الى بلدى .

المحكمة :

وبيان الرجل ، ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان المدعيةقد أصابتها من العشرة الزوجية للمدعى عليه أضرار جمة فى صـــورة أمـراض عصبية مما تؤكده الوثائق الطبية ، وأوراق العـلاج ، وحيث انه قد رماها أمام المحكمة بالشكوك فى سلوكها ، واصراره على ذلك مما تتعذر معه مواصلة الحياة الزوجية ، لذلك وبناء عليه ترى المحكمة الحكم لها بالطلاق ، والزام المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

لحن الصمت

صاحبة القضية لم تتجاوز الخامسة والعشرين •• معتدلة القوام •• مصرية اللون والتقاطيع •• ذات فم دقيق •• تكاد بعض الكلمات تنحشر فيه لدقته •• عيناها شديدتا السواد والبياض •• تنطلق منهما أنوثة ضارية يتفجر جسدها بالشباب ••وتختال بشعرها تطرحه يمينا وشمالا كأنها تضيف سحرا الى أنوثتها بهذه الهزات ، وحينما خرجت الى المنصة وقفت تقول :

سيدى القاضي :

ماذا أقول ولم يترك لى حتى القدرة على الشكوى ؟ •• انتزع منى كل شيء حتى الاطمئنان •• أعطيته عمرى فلم يعطني سوى القلق والضياع والانهيار مزق قلبى •• وسحق هدوئى ، ودمر أنوثتي ، وضيق الخناق على فى داخلى حتى تمكن من طرد روحى من جسدى •• وصيرنى جثة بلا روح •• هيكلا •• بقايا أطلال كانت ذات يوم امرأة ذات قلب وعقل •• ! وأخيرا جاء فى خسة يستل الرؤية من عينى ليسجننى فى هيكلى •• بلا عقل أو بصر •• !

أحببته بكل قدرة لى على الحب •• لم يترك لى فرصة التفكير فى القلب الذى أسلمته اليه ، ولم أحاول أن أسأله ماذا سيفعل به •• كانت ثقتي به بلا حدود وأمانى التى أودعتها بين يديه بلا نهاية •• وحينما اخترته دون كل الزملاء الذين فى المؤسسة •• كان اختيارا من القلب ، لم يشترك فيه العقل ابدا •• وتقدم الى أهلى يخطبنى منهم ، وكانت تحرياتهم عنه تصفه وصفا دقيقا، وحاولوا أن يقفوا فى

وجه زواجه منه باسم خوفهم على منه ، ولكنى قاطعت الجميع •• وقفت فى وجوههم •• قلت لهم انه الحياة بالنسبة لى •• قاطعونى •• فقاطعتهم •• أهملونى •• فأهملتهم تركت الكل خلفى واتجهت اليه •• أنثر الحب نحوه •• وأحرق القلب بخورا حوله •• أحسد نفسى عليه •• وأهنىء روحى على القرب منه ولم أتردد •• قمت بتجهيز كل شىء •• لم أشأ أن أحمله أية متاعب •• أردت أن أحميه من مجرد التفكير فى متاعب الزواج •• وفى اخر الامر دعوته الى عش الزوجية فاقتحمه وأنا أتمنى لو أستطيع حمل قدميه على كفى حتى لا يمشى على الارض •• !

وكانت الايام الاولى من حياتنا أغنية •• وفجأة قبل مضى ثلاثة أشهر صمتت الاغنية ، وماتت ألحانها ، وضاعت كلماتها •• والزوج الحبيب لا يعود الى البيت الا بعد الفجر ، وفى كل جيب من جيوبه الاثر الذى يؤكد انه كان فى صحبة امرأة •• فاذا لم يكن •• فهو على إستعداد لان يقص على مغامراته ، وصراعاته وقدرته على تكوين علاقات مع السيدات ، وأحاول أن أقرأ ما يدور فى نفسه وعلى وجهه وهو يروى هذه الحماقات غير انى لا أجد شيئا اقرؤه •• ألا يشعر بى ؟ •• هل يتعمد هذا الالم ؟ هل هو كاذب أم صادق ؟ ••

عشرات المشاعر كانت تجتاحنى وهو يروى دون مبالاة مغامراته •• ثم لا يتورع عن دعم كلامه بالصور التى التقطها مع صديقاته وفى أوضاع لا تستطيع العين أن تستقر عليها بعد النظرة الاولى ••

وأمسك نهائيا عن الانفاق فى البيت •• ثم رجع يقترض منى بالمعروف تارة وبالضرب أحيانا ولم يكن مبعث أحزانى انه ظهر على حقيقته ، ولكن مقاطعتى لاهلى من أجله ، وعز

على الا أجد من يستمع الى شكواى ‥ وامعانا فى تعذيب نفسى عقابا لها على اختيارها الاحمق حبستها فى أحزانها دون أن أفتح لها بابا للشكوى ‥وغلبتنى همومى فانتزعت أعصابى تمزقها وتحطمها وتتركني يأكل بعضها بعضا ‥ وانهارت أعصابى وسقطت صريعة فى العمل ، واختلط فى عقلى كل شىء ‥ الذنب ‥ بالندم بالمكتوب ‥ !

هنا فقط تدخل أهلى ‥ عادوا الى ‥ دفعوا بى الى مصحة ‥ طال مرضى ‥ فقدت وظيفتى ‥ وخرجت بعدها ‥ لاواجه حقارته من جديد‥ كان قد رفض أن ينفق على مليما واحدا ‥ واحتفظ بابنتى منه التى تقدمت أطلبها لتكون سلواى وعونا لى على اجتياز احزانى ولكنه رفض ‥ طلبت منه الطلاق فرفض ولكننى أصر عليه لان مجرد رؤيته تفقدنى صوابى ، وتذكرنى بما بعثنى بسببه الى المصحة ‥ انني أطلب الطلاق ‥ !

وجلست السيدة ، وجاء من بين الصفوف رجل فى حوالى الاربعين أو أقل قليلا أنيق شديد الاناقة ‥ مربع القامة ‥ يرتدى بدلة كحيلة اللون وكرافته حمراء وعلى عينيه نظارة سوداء ‥ وفى قدميه حذاء من طراز صبيانى ‥ ومشى كأنه يزف الى عروس ، حتى وقف عند المنصة ليقول :

سيدى القاضى :

لن أدفع عن نفسى تهمة الحماقة ‥ ولن أغفر لها ذنبا من أعظم الذنوب ‥ فقد كنت أحمقا ومذنبا وظالما لنفسى يوم قررت أن أتزوجها ‥ ولكم أن تتصوروا دون ما حاجة الى رؤية وقائع معينة ‥ كيف يعيش ذلك الزوج الذى رماه القدر بزوجة مريضة « بالهلوسة » والغيرة الى الحد الذى تذهب بها فيه علتها الى المصحة ٠ !

لكم أن تتصوروا شقائي .. وجحيم الحيــــاة مع مثــل هذه الزوجة .. أوهام تجول في رحاب ذهنها .. ترددها مرة ثم تصدقها .. ثم تصر على أن أقدم لها الدليـــل على براءتي منها .. السيدات اللاتي يعملن معنا في المؤسسة متزوجات وغير متزوجـات ، واتهمتني معهن .. ولو أن الامر وقف عند هذا لهان .. ولكنها تذهب اليهن وتطالبهن بأن يقطعن علاقتهن بي رحمة بها .. وبعضهن لهن أزواج في المؤسسة ، ولكم أن تتصوروني ، وأنا أواجه كل بضعة أيام مشكلة من هذا النوع .. كنت موقنـا اني ســـوف أسبقها الى المصحة التي ذهبت اليها .. !

ولست أنا الذي حطمت أعصـــابها ، فالحقيقة هي أن أقاربها هم الذين رسبوا في ذهنها كل هــذه الخيـــالات السقيمة .. وظلوا يحقنونها بهذه الافكار الى أن ضربوا عقلها وبيتها .. ذلك لانهم عارضوا في مبدأ الامر .. فلما أحسوا انهم لم يفلحوا في وقف الزواج قبـــل وقوعه .. تكاتفوا على قتل الزواج بعد وقوعه ولكنهم قتلوها معه .. جعلوها تعيش في أكاذيب من صنعهم ، وأحاطوها بمجموعة من الاوهام يدفعون الى تشويهي في نظرها ، وكانت القاضية عليها .. فلا هي ولا هم رحموا طفلتي التي كانت بالنسبة لي كل شيء والتي من أجلها أبقيت عليها حتى بعد أن ذهبت الى المصحة ، وأصبح من حقي ان أتخلص منها .. ان الانهيار العصبي حدث لها نتيجة لانهم كانوا يجذبونها من حياتي جذبا عنيفا مستخدمين أحط الوسائل ، وكنت أدعوها الى بيتها باسم ما بيننا من حب وذكريات ، وطفلة .. ان كل ما قلته أمامكم ليس لها فيه أي دور سوى انها تردده ..

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذي جاء في حيثياته :

المحكمة :

وحيث انه ثبت للمحكمة بشهادة الشهود ان الزوج كان يعتدى عليها بالضرب المبرح الذى حطم أعصابها ، وأصابها بالضرر ، وحيث انها فى حاجة الى طفلتها التى لم تتجاوز الثامنة بعد خروجها من المصحة لتعيش معها وتحتضنها ، ولما كان ذلك لا يمنع حضانتها شرعا .. والمحكمة تجيبها الى طلبها وتحكم لها بالطلاق من أجل تفادى الاضرار بصحتها .. وتحكم لها بحضانة طفلتها .

الشبكة والسمكة

صاحبة القضية تناهز الاربعين .. معتدلة الجســم ، محدودة الاعضاء ، ممتلئة الصدر ، مســتديرة الوجه ، واسعة العينين قوية الملامح لها طلعة جادة ، عقفاء الانف . لشفتيها شكل فريد مثير .. سوداء الشعر فاحمته .. لها لون الجذور والمصفاه .. شديدة الاناقة .. شديدة الثقة تخفي بها ما تعانيه .. هبت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضي :

لا أجد الكلمات .. فى موقفي هذا .. كل شيء غادرني .. أشعر بالعجز عن شرح قضيتى .. انها قضية حيـــاة اختنقت .. وأحلام أهدرت .. وآمال ضاعت .. وهيهات أن ترد العدالة الامانة الضائعة .. أو تعبث الحيـــاة فى زهور ذبلت .. فمعاذ الحب أن ترده الاحكام .. وحاشـــا للسعادة أن تعيدها القوانين .. فالقلـــوب وما وعت .. والأفئدة وما هوت .. من المستحيل على أن أروى لكم كيف كنا .. ولا كيف التقينا .. ولا كيف جرتنا الحيـــاة الى هذا المنزلق الذى انتهي بنا الى طلب الفـــراق .. فمهما التزمت من الدقة في التعبير ، والصدق فى الرواية ،فأننى على ثقة بأن ممارستنا للمعاشرة الزوجية بالسعادة والتكافؤ سوف تظل فوق قدرتى تلم بالماضي تدفن نفسها في أسراره

تنزيها لها عن التبذل •• وضنا من أن تصبح المقدسات مضغة فى الافواه ••

كنت أحيا فى عالمى الخاص •• عالمى الذى صنعته بكدى وكفاحى وقدرتى على تحصيل العلم لوجه العلم نفسه •• ولرد هذا العلم الى أجيال أخرى أما أن تحفظه أو تضيف اليه من قدرتها •• كانت دنياى حتى ذلك القدر من حياتى لا تخضع ولا تكون الا لمشيئتى ، ولست أنكر اننى كنت تجاوزت عمر النزق والطيش •• حيثما تعثرت سنواتى فيه ، وتعثر فى •• فقد جمعنا عمل واحد كان فيه يتلقى منى تعليماته ، وطريقة السير فى العمل •• ولم يكن هو أيضا صغيرا ، فقد تجاوز سنوات الخطر فى حياته ، وكانت له تجربة سابقة فاشلة •• وكان باديا عليه انه يعانى من جراحها التى تركت فى نفسه فجوات مظلمة •• أدركت أخيرا انه من الصعب علاجها أو مداواتها بالعطف أو الحب وبدأ يشكو لى من اليأس الذى يكتنف حياته ••والاخفاق الذى يسيطر عليه •• وماضيه الذى يطارده •• رغم انه لم ينجب ، ولم ترهقه تجربته ماليا الا بالقدر المعقول •• وأدركت والذين كانوا من حوله أن احساسه بالاحباط الذى يعذبه يمكن أن يسلمه الى جنون اذا استمر عنيفا وعميقا وطويلا •• وتحركت داخلى كوامن العطف والشفقة على رجل يحمل لامرأة رفضت عشرته كل ذلك الحب الذى يوشك أن يفترسه •• ولست أنكر أننى تمثلت فى خاطرى حجم الحب الذى يمكن أن يحمله لامرأة تعيد اليه كل ما فقده مع الغادرة ، وتجعل من حياته أنشودة أمل •• وطموح •• ورغبة فى الحياة ••

كان ذلك مجرد تفكير •• ولم أفطن الى انه بشكواه المتوالية كان يهدف الى تفجير عطفى المتواصل عليه ••

ويدفعني الى التفكير في مأساته .. الذى قادني اخر الامر الى انقاذه .. وذلك بأن أحببته فى استفزاز عاطفى ، صممت فيه على الاطاحة بحب المرأة القديمة لكي آخذ مكانها فى عزم واصرار .. حرصا عليه من الضياع .. وصيانة له من الجنون .. وتزوجنا ولابد من وضع ألف خط تحت هذه الكلمة .. فقد اكتشفت انني تزوجت حطاما متهالكا .. ممزق المشاعر .. ضائع الاحاسيس ، أفقدته الصدمة كل قدرة له على التميز العاطفي .. اكتشفت انه غير قادر على البذل .. استعذب عطف الجميع عليه واعتادوه .. فلم يعد يعرف كيف يعطي مقابل ما يأخذه .. تحول فى أعماقه الى شحاذ .. يبسط يده لتلقى الصدقات حتى فى الفراش .. وكان ذلك أسوأ ما يمكن أن تصاب به سيدة فى حياتها الزوجية .. وتردد على أكثر من زميل لنا من أساتذة علم النفس الذين نصحوه بمحاولة الانتقال الى حياته الجديدة واقناع أعماقه بالفطام من ذكرى زوجته القديمة .. الا انه ومع مضى الايام لم يكن يزداد الا اغراقا فى الفشل .. ولم يكن يستطيع التخلص من هذا الوهم الا اذا ألقي بنفسه تحت تأثير كمية كبيرة من الخمر .. بعدها فقط يسيطر على حاضره ، ويتمكن من الخروج من عالم الوهم فنلتقي طوعا أو كرها .. على أشواك تجعل من المعاشرة نوعا من العذاب ..

وقد أورثني ذلك الجهد بالاضافة الى حرماني المستمر مرضا عصبيا أوشك أن يفقدني الذاكرة .. وقد عاقتني الخلافات التى كانت تنتهي بالمشاحنات عن تأدية واجبى نحو عملى على الوجه الذى تعودته .. من أجل ذلك أطالب بالطلاق .

وجلست ليجيء من اخر الصفوف رجل فى الخامسة

والثلاثين ·· مربع القامة ·· مفرطح الجسد ·· على عينيه نظارة طبية ·· شديد الاناقة ·· في ربطة عنقه دبوس من الذهب ·· منظم الخلقة ·· تبدو عليه ملامح الرجولة ·· مضى في ثقة الى المنصة ·· ووقف يتكلم كأنه يلقي محاضرة وبدأ كلامه قائلا :

سيدي القاضي

هكذا هي تصعب الامور أمامي ·· فقد أصبح على أن أزيل ما لطخت به وجهي أولا ·· ثم أهدم الاركان التي بنت عليها طلبها للطلاق ·· وقد حرصت أن تقحم زيجتي السابقة في صحيفة زواجي وراحت تبالغ وتصفني بأنني كنت على وشك الانهيار وهأنذا أمامكم لم يدركني الانهيار ولا التصدع رغم ما فعلته بي ، وهو اضعاف ما فعلته مطلقتي السابقة ··

ولكن الذي حدث هو أنني سقطت بين براثن عانس متسلطة ·· استغلت ظروفي العاطفية أسوأ استغلال ·· واستحوذت على من خلال استماعها الى قصتي واحتوتني احتواء كاملا ·· مكنتها منه ظروفها كرئيسة لى فى العمل وتجاربها السابقة في الحياة ·· وراحت تحيطني برعاية وعطف عرفت أخيرا انه كان عطف الثعلب على الديك قبل أن يفترسه ·· أمطرتني بالهدايا وجدت كل موظفاتها يطاردنني بأنها تكن لى احتراما وعطفا ·· واننى أخطىء خطيئة العمر ما لم أتقدم اليها ·· ومع طول الحصاد أدركت يوما ان الرفض معناه قد يكون الموت ·· واذا تخليت عن المرأة ، وطعنت هذه العانس فى أحلامها فان نهايتي قد تكون في السجن أو القبر ··

ولما كانت النتيجة واحدة فى كلا الامرين فانني أقدمت

على الزواج منها والحقيقة هنا تتطلب منى أن أقــول اننى كنت امل أن أجد لديها السعادة لاسباب عدة ٠٠ أولهـا انها قد تكون هذه هى فرصتها الوحيدة للزواج ٠٠ ثانيا ان كبر سنها قد يجعلها تنظر الى الامور بعين فاحصـــة وخبيرة ثالثا ان مرارة الفشل قد تجعلنى حريصـــا على الا تتكرر المأساة ٠٠

غير ان الاخفاق فرض نفسه على زواجنا منذ اليوم الأول ٠٠ ان المـرأة اقتحمت عواطفى وكلهـا غـيرة حقيقيــة من الزوجة الاولى التى لم ترها ولم تعرفها ٠٠ كنت اســتيقظ فى الصباح فأجدها فى قمة « النكد » والسبب اننى أثناء نومى ذكرت اسمها ٠٠ وما ذنبى ؟ ٠٠ لست أدرى ٠٠ اذا دق جرس التليفون ولم يتكلم أحد ٠٠ فهى القديمة ٠٠ اذا تأخرت فى الخارج فلابد اننى كنت معها اذا وجدت تليفونى مشغولا فلابد أننى أتحدث معها ٠٠

والمعركة ليست ساعة ، أو ساعتين ولا يوما ٠٠ بل أياما ٠٠ وكرهتها كلما وقعت عيناى عليها بادرتنى بالحســـاب والعتاب ثم المشاجرة ٠٠ وعافتها نفسى ٠٠ لم أعد أشعر بأية رغبة نحوها ٠٠ فقد استطاعت أن تجعلنى زاهدا فى ممارسة الحياة ٠٠ ؟

ورغم ذلك فقد كنت امل أن تعدل عن سلوكها هذا فى مستقبل أيامها ولكن لا فائدة ٠٠ وعرضت عليها أن تعالج من هذه الغيرة القاتلة نفسيا فاتهمتنى أنا بالمرض النفسى ٠٠ ثم فاجأتنى بطلب الطلاق ، واصرارها عليــه ٠٠ ولكى أرضيها رضيت أن نفترق حتى تهدأ أعصـــابها وتفكر فى هدوء واذا بها تفاجئنى بهذه الدعوى ٠٠

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان المدعية تطالب بالطـلاق دفعا للضرر الذى أصابها فى أعصابها وفي نفسها ، وأوشك أن يوقفها عن العمل الذى تؤديه ، وقد استمعت المحكمة الى الطرفين ، وفحصت المستندات الطبية التى تقدمت بها المدعية وبناء على كل ما تقدم ذكره فان المحكمة تحكم بالطـلاق استجابة لدعوى المدعية ، وبعدم تعرض المدعى عليها لها فى الامور الزوجية والزامه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ..

السطح والأعماق

صاحبة القضية فوق الخامسة والثلاثين •• وردية البشرة ، طويلة فى عينيها السوداوين شيء كبقايا النوم •• طويلة الاهداب ، رقيقة الانف معتدلة ، لشفتيها المضمومتين سحر غامض ، يحمل عنقها الشامخ وجهها المستدير في ثراء بالانوثة يحيط شعرها الاسود بوجهها في تحد واعتزاز •• وحينما خرجت الى المنصة قالت :

سيدى القاضي : •

هذه أيامي ونبضاتها •• وأحلامي وما مضى منهـا •• وعمرى وما بقي فيه ، وكل ذلك كان فى قبضته يلقيه اذا شاء أو يحفظه وما فعل ، وقلبى يعطينى له كل يوم ،وروحى تهبنى له كل لحظة أنتشى وكيانى يذوب فى كيـانه •• ووجودى يتلاشى ذرات في دمائه •• وأهيم فيه أبحث عن صدى لكل ذلك الحب واذا به خاو لا يملك حتى الصدى •• واذا بي وحيدة فى متاهة الحيـاة ، أحلم بجنة وارفة الظلال •• وحولي صحراء قاحلة وبصرى يقودنى نحو سراب لا نهاية ••

كان اللقاء بيننا غريبا •• فقد كنت أغادر العمارة التي تسكنها شقيقتي ، وكان يركب معي المصعد وأثناء الهبوط انقطع التيار الكهربائي •• وجن جنوني ، واصبت بهستيريا البكاء ، وفشل فى أن يقنعنى بالطمأنينة ، وكاد يغمى علي ، وما كاد البواب وسكان العمارة ينقذوننا حتى اضطر أن يحملني بين يديه لكي يدخلنى شقة شقيقتى وكان

لابد من التعارف وعندما قال لنا اسمه ظنناه يضحك معنا فقد كان اسمه أكبر من حقيقته .. اذا لم يكن بين عشاق الافلام المصرية من لا يعرفه .. فهو أحد الذين يكتبون هذه الافلام ، ورغم ان ملابسه كانت تنبىء عن ثراء ، فانه كان في حالة افلاس نفسي بشعة .. حزين مكتئب ، مهزوم خرج منذ أيام من معركة ، قالت له المرأة التي كانت تعاشره انها لا تريده وأحسست منذ اللحظة الاولى انه حرك أوتار قلبي النائمة ولكني تريثت وتعددت اللقاءات بيننا والغريب انه كان يؤثر أن تكون هذه اللقاءات في بيت شقيقتي بعد أن أصبح صديقا لزوجها ..

وشعرت انه يختصني بنظراته .. يؤثرني بحديثه ، يقصدني بزياراته .. وأنا اذ ذاك مطعونة في كبريائي ، مطلقة بعد عشر سنوات من حياة زوجية لم أنجب خلالها . فوجئت بعدها بأن على أن أكون احدى زوجتين وانني بالخيار بين أن أنقل الى الاحتياط أو أنال حريتي .. وآثرت الحرية .. ومشيت فوق السنوات العشر حافية أدوس على لهب .. ولم أشأ أن أخدعه فرويت له قصتي بكل ما فيها من مرارة وقلت له أن .. وان أنوثتي فقط قد لا تكفيه كرجل على أبواب الخريف .. يمكن أن يأخذه الحنين الى الاولاد .. ولكنه هلل وامتدح هذه الميزة التي قد لا تتوفر في سيدة أخرى .. ولست أدري هل كان يجاملني أو أن هذه كانت مشاعره الحقيقية وانتهى الامر بزواجنا ، وخيل الى أن الزمن بدأ يكفر عن غلطته الاولى معي وعشت معه أياما لست أنكر أنها أضافت الى عمري مساحات .. سعيدة قبل أن أتبين انه جاءني يحمل داءه معه .. كان مريضا بالداء الذي لا شفاء منه .. فقد كان لعب القمار أحب اليه من أى شيء

فى الحياة .. وكرست كل جهودى فى محاولات صادقة لاجتذابه ..

وأمام اصراره على القمار وعودته كل ليلة فى الهزيع الاخير من الليل طلبت منه أن يسهر فى البيت .. ولكنه حول البيت الى بار مع أصدقائه .. فى كل ليلة تنتهى السهرة بالمعارك وتحطيم الاثاث ..

وقبل هذا وذاك تتحطم أعصابى ، وتفقد نفسى هدوءها ، واذا بى بعد شهرين متتاليين .. أرى أشباحا غير منظورة وأسمع أصواتا غير مسموعة .. فهزعت الى أطباء الاعصاب الذين أجمعوا على أن شفائى فى التخلص من هذه الحياة التى دمرت أعصابى ولكنه اختار الورق ، وفضل المائدة الخضراء على ، وكان ذلك فوق طاقتى ، والغريب انه فوق ذلك راح يتعلل بأن هذا الورق هو سلوه الوحيدة ..

لان حياته ليس فيها غير الفراغ الطويل .. ولكن ماذنبى أنا .. وقد أصبح مجرد ذكر هذا الامر يثير أعصابى ، ويخلع عن نفسى كل طمأنينة .. اننى جئت أطالب بطلاقى خشية الضرر ، وحتى لا أفقد البقية الباقية من عقلى ..

.. وجلست السيدة التى أثارت الجميع بقصتها ، وجاء من بين الصفوف رجل فى حوالى الخمسين .. معتدل الطول .. بدين الجسم .. مفرطح الملامح .. فى عينيه ذكاء .. حول جفنيه اثار السهر .. شديد الثقة بنفسه .. مشى فى خيلاء الى المنصة ليقول :

سيدى القاضى :

فى حالات شتى ، ومع الاسف فانها كثيرا ما تكون متعلقة بأدق شئون الانسان .. ومع ذلك يجد المرء نفسه مضطرا الى التجاوز عنها .. يتجاوز لان الكمال لله وحده ..

ويتجاوز على أمل ان الامر قد لا ينتج شرا •• ويتجـــاوز اعتمادا على أن الزمن قد يمسح هذه الهنة •• وهو فى كل الحالات يعرف انه مخطىء فى ذلك التجاوز ولكن هنـاك قوة أكبر منه تدفعه الى المضى فى الشروع والتجاوز عن ذلك الخطأ الذي يعلمه جيدا •• وننتهى فى اخر الامر الى أن نطلق ما يحدث اسم القســــــمة والنصيب •• وان كان فى الحقيقة ليس قســــمة ولا نصيبا بقدر ما هو تراكما وأخطاء تمت وترعرعت فى مناخ تجاوز هذا •• وهذا هو صلب قضيتنا أو حكايتنا ففى نفس الوقت الذى فكرت فيه فى الارتباط بهذه السيدة لاحت أمامى كل هذه المتاعب •• فهذه سيدة أهدر زوجها السـابق كرامتها الزوجية لذنب لايد لها فيه •• وأصبحت تنظر الى الرجال نظرة عـداء ، فقد حطم واحد منهم كبريائها وأنوثتها ، ولن يشفيها من حقدها الا أن تنتقم لكرامتها من رجل •• وكنت فى كـل يوم أزداد اقتناعا بأنها لن تترك ثارها ضـــد الرجال •• ولكن ما كانت تبديه نحوى من تصرفات كان يؤكد لى انها تريد أن تخوض التجربة مرة أخرى ، وانها سوف تحرص على بيت الزوجية فى هذه المرة لانها اكتوت بنار الطـلاق ، وذل التنقل بين بيوت شقيقاتها وأشقائها وكان العاملان يسيران فى نفس الوقت فى خطين متوازيين •• وغـافلت ضميرى الذى كان يصرخ داخلى ، ويتشنج فى أعماقى يؤكد لى ان الزيجة مصيرها الفشل •• وأقدمت على الزواج منها مخدوعا بما تبديه من لهفة على الحياة الزوجية ، التى كما قالت عنها أن عادت فسوف تعض عليها بالنواجز ، بل انها لن تسمح لاى عنصر من العناصر أن يفسدها عليها حتى ولو كانت الكرامة من جديد ••

وبدأنا نجدف بزورق الحياة واذا بالذى فى الاعمـاق

يطفو على السطح رويدا رويدا ..

حاولت تارة باللين وتارة أخرى بالشدة أن أتفـادى الصدام .. ولكن الظروف دفعت به نحونا ، وكان أمـرا حتميا .. فقد أصرت على أن تفرض سـيطرتها بشـكل هيستيرى لم أتعوده .. وهى تعلم أن عمـلى يتطلب منى السهر خارج البيت ويتطلب منى أيضـا السهر داخله مع الفنانين وأصحاب شركات الانتاج الذين يتعاملون معى .. وتعلم جيدا أن هذا السهر هو جزء من عملى .. واللقـاء بالفنانات بعض واجبي لكى أرسب فى أعماق الفنانة الدور الذى ستقوم به فى الفيلم الذى أكتبه .. ولكنها جعلت من هذا العمل قضية لابد لها من الانتصار فيها بالقضـاء على وليس من المعقول أن أصبح زوجا ناجحا ، وعاطلا انها تريد أن تنتقم لا أكثر ولا أقل ، لابد أن توقع على عقـوبة ذنب ارتكبه غيري ..

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته .. ومن حيث ان المدعية قد بنت طلب طلاقها على ما أصابها من ضرر .. فقد أصيبت بالانهيار العصـبى الذى مازالت تعالج منه من جراء معاشرتها الزوجية للمدعى عليه ، وحيث أن المدعى عليه قد اعترف بأن هذه الاسباب هى جـزء من عمله وانه لن يستطيع الاقلاع عنها ، مما يجعل الحيـاة بينهما مستحيلة للضرر الذى يصيب الزوجة .. لذلك فان المحكمة تحكم بالطلاق وعدم التعـرض لها فى شـئونها الزوجية ، وبالزام المدعي عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة

مدخل إلى قضايا النفقات ..!

لا يثير الاشمئزاز في النفس الى حد الغثيان شيء قدر ما تثيره دعوى نفقة مقامة من امرأة ضد رجل .. فهي أولا وأخيرا تعني بالضرورة أن رجلا استمتع بامرأة ثم أولدها أطفالا .. ثم ولى هاربا .. يرفض في نذالة .. أن يتحمل نتيجة حياة شارك فيها امرأة اختارها دون نساء العالم .. ليخترق وجودها ، وتخترق هي وجوده ، ومع التجاوز عن كل أخطاء الزواج . سواء كان المخطيء الزوج أو الزوجة ، بغض النظر عن الفارق الاجتماعي أو الاقتصادي .. ماذنب الطفل يحرم من مقومات الحياة .. ثم لا يحصل على مايقيم به أوده . الا بدعوى تتطلب حكم محكمة لكي يعيش .. انها لسبة في جبين رجل القرن العشرين الا يدفع ثمن زجاجة اللبن في فم فلذة كبده الا بكلمة من قاض .. !

ولست أدين كل الاباء الذي قضى حظهم التعس أن يكونوا طرفين في قضايا النفقة .. فقد شهدت بعض الاباء الذين يخشون ربهم ، وهم يعرضون على الامهات أضعاف ما ينتظر أن يحكم به القاضي، والامهات يرفضن الا الذهاب الى المحكمة كنوع من الانتقام والتشفي .. كما شهدت بعض الاباء الذين يطالبون مطلقاتهم بايصالات رسمية لكي يقدموا لاولادهم وجبة عشاء .. !

وسوف يلمس القاريء أو القارئة في قضية النفقة (لا اكراه في الحب) ان هذا الاب النصاب الذى خدع

المرأة ، وجعلها توافق على الطلاق منه بدون قيد أو شرط بتخطيط بارع ، وخبث مبرمج فلما أفلت بعد أنَ أنجب منها طفلين ٠٠ أراد أيضا أن يتناسى الاتفاق عليهما ، وكأنه لم ينجبهما بعد معاشرة زوجية صحيحة ٠٠ ونحن فى قضايا النفقة ٠ مهما حاولنا أن نكون على الحياد ٠ فبالضرورة ، ودون عمد سوف ننحاز الى جانب الاطفال ٠٠ ! فالطفل صورة وكلمة يثير فينا ملايين المشاعر التى تلتمع فى كياننا الداخلى ٠٠ فتدفعنا الى التعاطف مهما كان اصرارنا على خلاف ذلك ٠٠ !

وفى قضية أخرى هي (السياط الخفية) سوف نجد أنفسنا أمام نموذج غريب من الرجال ٠٠ رجل يمارس النذالة بالتخطيط والتدبير ٠٠ أى انه ليس عفويا فى نذالته أو سفالته ٠ فالزوجة المطلقة تقول ٠٠ انه حينما رتب لطلاقها ، وشعر انها حامل ٠٠ كان يوجه كل ضرباته فى شجاره معها الى ظهرها يبغى اجهاضها ٠٠ حتى اذا ما طلقها لم يعد هناك ما يربطه بها ، وما يدفع لها من أجله نفقة ٠٠!

ومع ذلك يجيء الرجل فيؤكد انه كان يوفر لها حياة كلها بذخ واسراف ، ويدلل أمام المحكمة على انه دفع لها مصروفات مستشفى الولادة ، ويستنكر ان تصوره زوجته أو مطلقته بصورة الرجل الوحش الذى يكره ابنته ، ومع ذلك تتضح ملامح الصراع ٠ فاذا به صراعا اقتصاديا بحتا سواء من ناحيتها أو من وجهة نظره ٠٠ !

لكن لا نستطيع أن ندين الاب بعد أن تقرأ دفاعه ٠٠ لكن فى جميع الحالات سوف تتعاطف مع الطفولة ٠٠ !

وفى القضية (ليل بلا فجر) سوف نجد قضية طلاق ثم نفقة ، وهى بالضرورة لابد أن تكون طلاقا أولا ثم نفقة ، والرجل هنا طراز مختلف من الرجال فهذا انسان فنان

ملحن أو مطرب ، والانسان كثيرا ما يقف أمام قضـــايا الفنانين في الاحوال الشخصية ، وهو في حيرة ٠٠ اذ كيف تصور هذه القسوة من فنان أو فنانة ؟ وكيف تتجــافى أعماله أو أعمالها مع أبسط مبادىء الانســانية ٠٠ فمثلا عرفت فنانا كاتبا ٠٠ كتب للمسرح عدة مسرحيات ناجحة ٠٠ وحينما كانت زوجته تضـــع مولودها الاول منه فى المستشفى فاجأها بالطلاق ٠٠ ليتزوج من فنانة كبيرة ٠ جعلت الطلاق من الزوجة الاولى ثمنا لقبولها الزواج منه ، واستقبلت وثيقة الطلاق بنشوة بدأت بها شهر العســل الخاص بها ٠٠ فهل هى أنانية الفنان ٠٠ ؟ وهل يمكن أن تنحط هذه الانانية الى حد ايلام الاخرين دون مبالاة ٠٠ على كل الذى حدث فى قضية (ليل بلا فجر) هو أن هذا الملحن أو الموسيقى بعد أن أصبح مرموقا ، وصـــاحب اسم فى عالم الفن ٠ استدار الى الزوجة الصامدة يمنحها الجزاء على وقوفها بجانبه بعد أن أصبح شيئا ٠ فطلقها ٠٠ ليستسلم بين أحضان ملهمته وتلميذته الجـديدة ، وترك الاولى مع أطفالها ، وأنا اسوق هذه القصص للعبرة فقط ، وأرجو الا يظن أحد من الاصدقاء ، والاحباء ، والقراء ٠ اذا ماتصادف ان رأى صدى لحياته هنا الا يظن انني تعمـــدت ذلك أو قصدته فكل قصص الطلاق ، والنفقات ، والهـــروب الى الزوجة الثانية فى منتصف العمر تتشابه ٠٠ ذلك لان وراء كل هذا تقاليد متشابهه تحكمنا ، وسياج دينى يعيش فيه نفذ بعضه ، وتتغافل عن بعضه ٠٠ وتكـون النتيجـة أن تتم الزيجة الاولى للشاب فى معظم الحالات دون رغبة حرة من جانبه ٠٠ فكثيرا جدا ما يتدخل الابوان يضـغطان فى استغلال شىء لحق الطاعة المفروض لهما على الشـــاب ٠٠ ومن المؤكد الذى لا يحتاج الى دليل انهما لا يريدان للابن

أو للابنة الا الخير •• غير ان هذا المضغوط عليه يظل طوال العشرة الزوجية ، وفي وجدانه انه يمارس حياة مفروضة عليه •• تحيط به من كل جانب عناصر الاستفزاز المثيرة للتحديات ، ويوما بعد يوم تنهار صلابته ، وترتفع لديه الرغبة فى تحقيق الحلم الذى كان يراوده •• فيقدم على اختيار امرأة أخرى ، واحيانا تقدم المرأة على اختيار رجل اخر •• كلاهما غير مبال بالاطفال ، والحقيقة أن الرجل أكثر جرأة فى هذا المجال من المرأة ، ومن هنا تجىء قضايا النفقة التى سوف تظل باشخاصها ، وضحاياها الى الابد !

وسوف يجد القارىء أو القارئة قضايا ينكر الرجل فيها نهائيا انه عاشر المرأة أو ان له منها أطفالا ، وتضطر المرأة الى اقامة دعوى (ثبوت نسب) والقضاة فى مثل هذه القضايا يتلمسون أوهى الاسباب ، ويتصيدون الادلة التى يحكمون بمقتضاها ثبوت النسب •• حتى لا يعيش فى المجتمع أولاد بلا اباء •• ما دامت الام تعرف الاب ، وتطالبه بالاعتراف •• والقاضى يترك الامر فى مثل هذه القضايا للمرأة ، فهى وحدها التى تتحمل الوزر كله ، اذا قضى لها القاضى بأمر تدعيه ، وهى تعرف انها كاذبة •• كما ان القاضى دائما يسأل المدعى عليه هذا السؤال :

ـ لماذا تدعى عليك دون بقية البشر •• ؟ ولماذا لم تدع ان أغنى منك ، وأعظم منك • هو الذى أولدها هذا الطفل •• ؟

وبعد ذلك تجىء قضايا الصراع على الاستيلاء على الاولاد •• وهى قليلا ما ينتصر فيها الرجل •• لان المرأة هى الاصل فى التربية الا فى حالات نادرة •• واليكم الجزء الاخر من الكتاب •• !

قارئاتى ، وقرائى

قلق اجتماعي

صاحبة القضية تجاوزت الثلاثين .. مشرعة الجسد معتدلة القامة .. تبرز ملابسها بديع تكوين أعضائها .. سمراء مشرقة كسحابة تخفى الشمس فى جوفها .. ترقد فى عينيها فتنة عميقة .. وعلى أهدابها السمر أنوثة نشوى بالاعجاب .. تحاول الافلات من عيون الرجال المتعلقة بها .. وحينما نودى على قضيتها خرجت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضى :

شقيت بحبه حتى خشيت أن يحولنى الالم عنه .. فأقنعت خواطرى بتقديس الالم وجعلت سعادتى فيه بقدر ما يضنى روحى من عذاب .. وكان العذاب فى حبه صلاة غير مرجوة الثواب .. حينما لقيته .. كان قادرا على تحقيق احلامى العاطفية .. يعطينى من قلبه ومن وقته ما يضيف الى حياتى حياة جديدة .. كان يشغل وظيفة حساسة تتيح له أن يستجلب كل ما يحتاج اليه البيت الحديث من الخارج .. وأعطيته إكثر من حياتى .. منحته القلب الذى يهتف له .. والعواطف البكر التى لم تبذل لغيره .. ونذرت أحاسيسى كاهنة فى محرابه ، ومضى العام الاول !

وجاءنى العام الثانى والاحلام تنقلب شيئا فشيئا من أقصى اليمين الى أقصى اليسار .. السهر الذى لا اخر له

•• والانهماك فى أمور تتلف أعصـــابه •• وتجعله يعود وكأنه عود كبريت محترق •• دوامة يدور فيها تطبع الحيرة على ملامحه •• وتترك بصمات العذاب النفسي على قسماته •• برم يصرخ من أي شيء •• وساخط يصيح ويبكى لاقل سبب •• ولا يبتسم •• وظننت انه يجتاز أزمة عاطفيـة ألقت به فيها حماقة من حماقات الرجال•• ورحت أتحسس وأتجسس على كلماته التي يتفوه بها في غضبه أو فى نومه •• أو قمة ثوراته •• غير انى عجـــزت عن الكشــف أو الوصول الى سر أزمته •• ولم تواتنى الجرأة لمناقشـــته صراحة فيما يفتت أعصابه من عذاب •• !

وفى فترة من فترات ضعفه قال لى انه يريد أن يستقيل •• يود لو أنه تخلص من ذلك القيد الذى يغله ويربطه بجماعة لا يرضيه ما يرتكبونه من موبقات •• فقد تورط معهم ، ولا يستطيع الرجوع والا أجمعوا على اقصـــائه الى السجن حتى يأمنوا لسانه •• ولكنه على ثقة بأن السر كله سوف يذاع يوما ما •• وساعتها سوف يضيع معهم •• كان شديد الحيرة ، وجعلنى أسلم خواطرى للقلق يمزقهـا بمخالبه دون بريق من أمل في الخلاص •• !

كان الطفل الثانى يذوب فى أحشـــائى •• وران على حياتنا هم ثقيل •• صبغ كل شيء فيها بالسواد •• وكسا جوانبها بالصمت الثقيل •• يبادلنى نظرات زائغة كالذي يخشى عليه من الموت •• وتصدر عنه حركات هستيرية كمن يختنق في ملابسه •• وكان يحمل طفلنـــا بين يديه ويطيل اليه النظـرات وتنهمر دموعه من عينيه لانه يخشى أن يسجن أو يقتل فلا يتمكن من رعايته •• وعرضت عليه أن يعرض نفسه على طبيب أمراض نفسية •• فقـد جال بخاطرى أن يكون ذلك نتيجة اضطرابه نفسى خطير •• غير

انه أشاح عني بوجهه !

ولم يطل انتظاره ، فقد فوجئت ذات ليلة بالقيامة تقوم •• بعثنا من نومنا ليأخذوه الى حيث يحقق معه ،وفتش كل شبر في المسكن •• وتحطمت أثناء التفتيش أجمل التحف التي جاءت من هذا الطريق •• وتحطمت معها أشياء كثيرة كانت في صدري•• واحسست وأنا في ملابس النوم ألملم اطرافها حول نفسي وطفلي انه لم يجن على نفسه فقط وانما جنى على بريئة ، كل ذنبها انها أحبته وأخلصت لكي تصنع له حياة مثالية هوى بهما بحماقته الى قاع الحضيض !

وفي الصباح كان كل شيء بتفاصيله المفزعة مكتوبا في الصحف •• كانوا يختلسون بنهم ، ويغتالون الدولة في أموالها ، قد وضعتهم في أقوى مكان حساس ثقة بهم وتقديرا لهم •• ولم أستطع صباح ذلك اليوم أن أذهب الى عملي •• شعرت أن كل الاصابع سوف تشير الى ، وعجلت الكارثة بطرد الطفل من احشائي فشعرت بالام الوضع في غير موعدها •• وحملت الى المستشفى لكى أضع طفلى قبل موعده ، وكانت لحظات رهيبة •• نجوت فيها من الموت بمعجزة •• وطول المدة التي قضاها في السجن ••قاومت كل العواصف ومضيت في عملي أعيش منه الى أن خرج من السجن ، فلجأ الى والدته وأعطاها سمعة تصب فيه الضلال بلا حساب ضدي •• وبدلا من أن يجازيني على صلابتي ، أرسل الى ورقة الطلاق •• ونسي بعدها أو تناسى انني اعيش مع طفلين منه عليه نفقتهما •• وكذلك كل حقوقي الشرعية الاخرى !

وجلست السيدة ليتقدم من بين الصفوف شاب في الخامسة والثلاثين •• متين البناء طويل القامة •• وسيم

.. أليق الملابس .. يخفى نصف وجهه خلف نظارة سوداء .. يسير بخطوات مهزومة كأنه خسر معركة حياته .. وقف عند المنصة يقول :

سيدى القاضى :

لم تكن هذه السيدة أرحم بى من الحياة .. اصطفاها قلبى دون فتيات القاهرة لانها كانت دونى فى كل شىء .. .. كنت بالنسبة اليها حلما بعيد التحقيق .. وأملا ترنو اليه من خلف طبقتها التى تنتمى اليهـــا .. وتلقيت لوم الذين لامونى بابتسامة ســـاخرة .. أكدت لهم فيها اننى اعرف أين أضع قلبى .. فهذه الفقيرة ســـوف تحتضـــن مشاعرى احتضان البخيل للكنز الذى عثر عليه .. سوف يبهرها أن أشدها معى الى الطبقة العليا وأن أدربهـــا على استعمال الادوات التى تعيش بها الطبقة الراقية..وتناسيت ان « العرق دساس » ، وانها قد تأخذنى وتشدنى معها الى مستواها وحضيض الحياة التى عاشتها سابقا .. !

ولم أحاول أن أتنبه الى الاخطاء التى أنزلق فيها ، وأنا أحقق لها الطموح الذى أصيبت به بعد انتقالها الى بيتى . كلما تحقق لها حلم راحت تنسج حلما جديدا تدفعنى دفعا الى تحقيقه .. فأستغرق فى حماقاتى من أجله ، وهى ترقب ذلك كله لا تخيفنى ، ولا تردعنى ، ولا تصور لى نهايته .. لا يشغلها سوى أن تستكمل مظاهر العظمة التى أصبحت تعشقها .. وهكذا ضعت وضاعت حياتى .. !

لم يكن لى من أمل سوى ارضاء نزواتها ، وتحقيق أحلامها التى تطوف فى خيالها من قبل أن تصبح أحلامها متكاملة .. ومع ذلك فقد سارعت بالهرب بعيـــدا عنى حينمـــا دق ناقوس الخطر .. واضعة يدها على ما يمكن الاستفادة منه

•• وكأنها لم تكن شريكة لي •• استولت على السيارة لانها كانت باسمها •• واستولت على كل ما كان في البيت من أجهزة حديثة •• واستولت حتى على ملابسي •• واعتبرت ذهابي الى السجن وفاة لي لا عودة بعدها •• فلما عدت ضنت علي بملابسي •• وراحت تقيم ضدي هـذه الدعوى تطالبني بالنفقة لولدي ••

لقد جردتني من كل شيء •• وقضت على نهائيا •• انني الان مطرود من وظيفتي •• مطلوب مني أن أسدد للحكومة غرامة كبيرة حكم علي بها •• وليست لي وسـيلة حقيقية للتعيش •• وهي موظفة تحصل على مبلغ طيب •• وتحت يدها كل شيء كان لي •• دفعت ثمنه من حياتي ومستقبلي •• فماذا تريد مني الان •• بعد أن حولتني الى رماد تذروه الرياح •• انني أسأل ضميرها اذا كانت موقنة انها أبقيت لي أو معي ما يمكن أن أدفعه نفقة لطفلي •• ؟ ولكم بعد ذلك أن تحكموا بما تمليه عليكم ضمائركم •• !

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذي جاء في حيثياته :

وحيث ان المدعي عليه قد تزوج بالمدعية زواجا شرعيـا بعقد صحيح وأولدها خلال المعاشرة الطفل الاول والثاني، ولما كان قد طلقها بتاريخ وتركها بلا نفقـة أو منفـق فان المحكمة تحكم للطفلين بنفقة قدرها ••• شهريا وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة •

أيامي الضائعة

صاحبة القضية في الخامسة والعشرين أو اكبر بقليل .. بيضاء رائعة القوام .. مستديرة الوجه ، زرقاء العينين .. خطت نحو المنصة لتناقش قضيتها ووقفت تقول :

سيدى القاضي :

كان فى السنوات الحرجة التى تسبق الاربعين ، وكنت لم أصل بعد الى الخامسة والعشرين ، واعترف لى بأن له تجارب تفوق عدد شعر رأسه ، ولكنه خرج من كل هـــذه التجارب مقتنعا بأن البيت السعيد أساسه التفاهم ، وانه لم يسبق له الزواج ، وكان صادقا الى حد ما ، وان كانت معاشرة النساء لم تكن جديدة عليه !

انتقلت الى بيته الذى تعاونا فى تأثيثه ، وبدأت أعيش معه حياة كنت قد وطنت نفسى على احتمالها .. فقد كانت مهنته التى يمارسها لها صلة كبيرة بالفن والرسم ، وفرض على قراءة عشرات الكتب عن تاريخ الفن والرسامين ، ولابد أن يناقشنى فى تفاصيلها وحياة كل رسام ومذهبه ، ورغم ثقل هذه المهمة الا اننى ـ محاولة ارضائه ـ روضت نفسى عليها .واستكمالا للمظاهر الفنية التى أحاط نفسها بها،ظل محتفظا ببعض الصاحبات الفاتنات ، فالتليفون لا يكف عن الرنين ليل نهار ، واذا أمسكت بالســـــماعة سمعت من الجانب الاخر ضـــحكات وتأوهات فاذا قلت أننى زوجته

أغرقن فى الضحك ، وتلفظن بألفـاظ نابية ، ويجىء هو وتستمر المناقشة احيانا بالساعات ويعتذر لى بأن هؤلاء المعجبات « معـذورات » فلم يكن أحد يظن انه سيتزوج يوما ما ٠٠ !

وعشت عامى الاول فى مجهود عصبى شاق ، كان يتطلب منى الموازنة الدقيقة بين واجبى كزوجة ،ووظيفتى كمدرسة وامرأة تدافع عن بيت متهاوى الاركان بناه صاحبه دون أن يتحقق من رغبته الصادقة فى الزواج ٠٠ !

ووضعت طفلى وزادت أعبائى ، وحلا للمشكلة التى ولدت مع الطفل اقترحت عليه أن أحضر والـدتى لتعيش معنـا فترعى الطفل وتشرف على البيت فى غيابى بعد أن ذقت من « الشغالات » العذاب الاليم ووافق هو على هـذا الاقتراح وتركت والدتى شقيقى الذى كان فى حاجة اليها ، فقد كان يجتاز العام الاخير من دراسته ، ورغم ذلك ضحت بوجودها مع ابنها وجاءت لترعى طفلنا وكانت سـعيدة بهـذه التضحية ٠٠ !

وبدأ بعد ولادة الطفل ووجود والـدتى يمـارس معى نموذجا من الضغط الاقتصادى بعد الضغط النفسى الطويل امتنع نهائيا عن الاعتراف بالمصروفات الزائدة التى جاءت نتيجة حياة والدتى معنا ، ونتيجة لوجود هذا الطفل الذى كان فى حاجة الى رعاية صحية ، وأدوية ، وأطعمة خاصة ، وحملنى كل ذلك أنفقه من مرتبى ، وكأنه كان يريد بيتـا بلا تكاليف ٠٠ !

وفى نفس الوقت راح يغدق على أهله واخوته كل دخله مع أنهم فى غير حاجة اليه ، فاذا حاولت مناقشـته أجاب بردود خشنة ، وأفهمنى ان لهم مستوى معينا من المعيشة يجب أن يحافظوا عليه ، أما أنا فواحدة من « عامة الشعب »

يجب أن أعيش أية عيشة ، فرغم أن شقيقته مثلا تشـغل وظيفة طيبة وزوجها هو الاخر دخله ضـعف دخلنا فانه لابد أن يغرقها بالهدايا هي وأولادها ، مفتعلا المناسـبات ، وأنا وطفلي نعيش على القوت الضروري وليس لنا الحق في المطالبة بمساواتنا مع أهله .. !

وأخيرا دبر أمرا غريبا فقد صـمم على طرد والدتي من المنزل ، ولما قلت له ماذا نفعل بالطفل خيرني بين أن تأخذ الطفل معها أو أذهب أنا مع الطفل أيضا وكان غريبـا في حلوله ، فكيف يمكن أن تعيش أم بدون طفلها ؟ وماذا يعني بكلامه أن أذهب أنا أيضا خلف الطفل اذا لم يكن في وسعي أن أعيش دون طفلي وطلبت منه أن يفكر جيدا في هـذه الطلبات العاجلة ، ولكنه أمهلني مدة يوم واحد للتفكير !

وشـعرت تماما انه الطرد .. فطلبت منه بعض الاثاث الذي يمكن أن ننام عليه الى أن نتمكن من شراء أثاث جديد ولكنه رفض رغم ان كل الاثاث اشتريته من مالي الخاص ، وكان موقفا مخزيا أمام سكان العمارة ليلة أن قذف بنا أنا وأمي وطفلي ثم أغلق الباب ووقفنا على السلم نستجديه أن يتركنا حتى الصباح ولكنه جاء لنا بشرطة النجـدة حتى يتمكن من النوم في هدوء فلا تزعجه طرقاتنا على الباب !

وحتى الطلاق بخل علي به ، وتركني أواجه مصيرا مروعا لولا وجود شقيقي في القاهرة الذي حاول بشتى الطـرق الاصلاح بيننا غير أن كل المحاولات ذهبت أدراج الرياح !

وجلست السيدة المدرسة التي كانت تتكلم كمن تشرح درسا غامضا غير مفهوم وجاء من الصفوف رجل على عتبات الاربعين ربع القامة ، ممتلىء الصدر والاكتاف والوجنات ، مستدير الوجه ، في عينيه ذكاء حاد ، ولون بشرته ذهبي

كحبات القمح ، وفي خطـــواته ثقة زائدة على الحد ، وعند المنصة وقف يقول :

سيدي القاضي :

الذي حـدث حينما تقدمت الى أهلها أن واجهـوني في صراحة انهم وقفوا خلفها حتى تخرجت في الجامعة ، وانها تساعد والدتها من مرتبها ، وشقيقها الذى كان يومها طالبا في التجـــــارة ، وان على اذا كنت أرغب في الزواج أن أجهز كل شيء ، وأي شيء فهم لا يملكون شـيئا وليس في وسعهم شراء شيء حتى لو كان ثوبا لها ٠٠ !

وأثثت لها بيتا اشتريت كل شيء فيه حتى فساتينها ، وانطلقت أباهى كل الذين تخرجوا قبلي ، وأنصـــح الذين تزوجوا بعدي بأن يبحثوا عن زوجات مثل زوجتي وصنعت من نفسي زوجا مثاليا كان في نظري هو الزوج الذى لايترك زوجته تغضب ساعة واحدة لاي سبب من الاسباب ، وأن يضحي دائما من جانبه دون مقابل فهو عندما يضـحي من أجل بيته انما يضحي لنفسه ٠٠ !

الى هنا وكل هذا جميل ، ومضى العام الاول كله شـهر عسل طويل صنعت فيه وحدي كل نقطة عسل رغم حماقاتها المتكررة ، وبدأت تضع برنامجها لفصـــلي نهائيا عن أهلي اذا ذهبنا الى زيارة شقيقة من شقيقاتي فلابد أن تصطنع معركة تتصيد أسبابها ، ويصبح موقفي حسـاسا دقيقـــا لا يمكن أن أنحاز الى زوجتي أو شقيقتي ، وتعود اخر الليل لتقضي بقيته في محاكمات تنتهي بأن تأخذ على عهدا ألا أزور شقيقتي مرة أخرى ٠٠ !

واذا ذهبنا لزيارة أحد أشقائي لم تعدم الاسباب التي تجعلها تطلق لسانها في كلام عن زوجته ، وتدور معـركة

اشعر تماما أن زوجتى فيها متجنية ، ومع ذلك يحتم على الواجب أن أقف بجوارها ، وتعود اخر الليل لتفهمنى بأن أهلى جميعا يحتقرونها لانها دونهم فى الدخل ، والملبس ، وانها لا تملك سيارة مثلهم وتوغر صدرى ضد أخوتى ، وعبثا أحاول أن أخرج من رأسها هذه الفكرة .. فكرة أنهم يحتقرونها فقد كانت تعانى من عقدة النقص .. !

وكان واضحا أن من بين برامجها الاجهاز على اقتصاديا، فرغم ان راتبى مع دخلى يزيد فى الشهر عن حاجتى فانها أغرقتنى بالديون .. لماذا !؟ لكى تضع هى فى دفتر توفيرها كل ما تصل يدها اليه وبطرق لا يمكن أن توصف الا بأنها غير شريفة وغير أمينة أيضا ..

حدث أن كنت أسير معها فى شارع سليمان ، وأبدت اعجابها بحقيبة وحذاء ، ولم يسعنى الا أن أتقدم وأشتريهما لها ، وكانت تربطنى بصاحب المحل شبه علاقة قديمة ودفعت له ثمنا لا أذكره الان ، وبعدها بأيام نسيت الحادث كله ، وذات يوم كنت أسير أمام المحل ، واذا بصاحبه يحييني ، ويسألنى عن المدام التى حضرت اليه وردت المشتريات وأخذت النقود ولم تعد ، وأصبت بالذهول لمدة ثوان ثم تماسكت وجاءنى الرجل بالمشتريات كما هى ، وتصنعت أننى على علم بكل ما حدث ،وعدت أناقشها فى هذه الواقعة واذا بها ترفع صوتها على اخره ، وتقول اننى أتجسس عليها وان هذا لا يمكن أن يحدث من رجل شريف وانها حرة فيما تشتريه ، ترده وتأخذ ثمنه وتضعه فى دفتر توفير ما دام أصبح ملكها .. !

وجاء الطفل ، وجاءت بوالدتها وكان شقيقها قد تخرج ، وعمل فى وزارة قريبة من منزلى فجاء هو الاخر وأقام بالمنزل ، وأصبحت تحتل هى ووالدتها وشقيقها السرير

الوحيد فى الشقة أما أنا فأنام حيثأكون فى غرفة الجلوس أو فى المكتب هذا اذا كان يعجبنى والا فأمامى الفنادق .. !

سنة كاملة قضاها شقيقها فى بيتى مع والدته ، وفوجئت ذات يوم باسمى يرفع من الباب ليوضع اسم شقيقها ثم من صندوق البريد ، وكل ذلك وأنا صابر أضحى من أجل الحصول على الشىء الموهوم الذى اسمه السعادة الزوجية ، وخلال ذلك كانت قد سلختنى عن أهلى جميعا ولم يعد منهم من يسأل عنى ، وكانت سعيدة بذلك .. !

وذات يوم ارتفعت حرارتى فجأة فعدت من العمل ، ورأسى يكاد ينشق ، ودخلت غرفة نومى لكى استريح ، واذا بشقيقها ووالدتها يحتلان السرير ، وقلت لها اننى أكاد أسقط أعياء من الحمى ، وان عليها أن توقظهما ، واذا بها تصيح فى اننى نموذج فى قلة الذوق وان على أن أنام فى أى مكان الى أن يستيقظا ، ونفد صبرى فلعنت اليوم الذى رأيتها فيه ، وأيقظت والدتها ، وطلبت منها أن تغادر الشقة فورا مع العريس ابنها ، فقد طفح الكيل ، ولم أعد أتحمل هذا فى الوقت الذى كان لهذا الشقيق شقة صغيرة منذ أيام الدراسة ، ولكنه كان يراها لا تليق به بعد الوظيفة !

وفوجئت بها هى الاخرى تجمع ملابسها معهما وتسبقهما فى الخروج بعد أن تركت للسانها ولسان والدتها العنان يقولان فى ما لم أسمعه حتى اليوم من مخلوق ، وكانت مفاجئة لكل سكان العمارة التى أسكنها منذ أن كنت أعزب دون أن يسمعوا لى صوتا ، وبعد أيام فوجئت بها ترسل لى حجزا على العفش ، وحل أول الشهر وأرسلت اليها نقودا لكى تنفق منها على الطفل ورجوتها أن تكتب لى ايصالا ، ولكنها رفضت ، وأصرت على أن تأخذها بلا ايصالات ومع

ذلك قبلت وأمام هذا التعنت لم أجد مفرا من طلاقها وارسال الورقة اليها ، هذه هي بعض الحقيقة أما الحقيقة كلها فما زال الحياء يمنعنى من روايتها ٠٠ !

المحكمة :

وجلس الرجل الذى يحمل ملامح الفنانين ، وصـــدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان المدعى عليه قد دخل بالمدعية بعقد صـحيح ، وعاشرها معاشرة زوجية أولدها خلالها الطفل الذى لم ينكره وقد طلقها دون النظر الى حقوقهـــا الشرعية ، وتركها بلا نفقة لها أو لطفلها ، ومن ثم فان المحكمة ترى الحكم بنفقة شهرية قدرهـــا ٠٠٠ مع طفلهـــا ، والزام المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ٠٠

وجبة عذاب

صاحبة القضية فوق الثلاثين طويلة ، رائعة القـوام ، مشحونة بالانوثة التى تتحرك فى كل عضو من أعضـاء جسدها ، شعرها كالليل ، ووجهها كالصبح ومضـت الى المنصة مختالة مغندرة كأنثى الطاووس ووقفت تقول :

سيدى القاضى :

عندما بدأنا نمارس الحب كان بالنسـبة لنا شيئا بلا اسم .. كالطعام .. كالحياة .. كالهواء شيئا يمارس بلا خجل .. بلا حيـاء .. وخوف .. والدتى سـعيدة .. ووالدته أشد سعادة .. بين الحين والحين تناديني بإزوجة ابنى .. وتبتسم .. وتغمز لى بعينيهـا .. والوالدان ربطت بينهما الصداقة .. والوظيفة .. والجوار .. وكلانا كأسطورة .. والحب الذى أحمله له ليس من السـهل تفسيره ... بعيد الجذور فى كيانى .. كأنه بعض دمائى .. أو بعض حياتى .. وتظهر نتيجة التوجيهية .. ويجىء هو الى القاهرة ليلتحق بكلية الطب .. وأحاول اقنـاع والدى بمواصلة تعليمى لكن طلبى يرفض .. لقد أعد لى مفاجأة .. لابد من زواجى ..

وجاء أحد أقارب والدى من الريف .. رجـل طـويل عريض .. مستور له أرض وله أطيان ورفضـت وكـان

الجواب الضرب .. ثم التهديد بالقتل .. يمكن أن أموا
دون أن يشعر أحد فالبنـــات لا ثمن لهن .. هكذا قـا
أبى .. !

وجاء هو من القاهرة استدعيته برقية .. ألقيت بنفس
عليه .. قلت له لن أتركك لحظة .. لابد أن تأخذنى
ووقف بجانبى .. قاسمنى المرارة التى كانت فى فمى
كان العقاب الذى وقع علينا هو الطرد .. الطرد من قلو
العائلتين .. طردنا ليتلقانا الجوع والضياع .. وأخذ
الى المأذون فى نفس المدينة .. وجاء بى الى القـــاهرة
لا شىء معنا سوى الامال ولا وجبة طعام ولا مأوى ســ
الغرفة التى كان يسكنها وهو طالب .. وبقايا جنيهـــ
حصل عليها من والدته .. وكانت الغرفة خاليـة تمـ
كجيوبنا ، وهبط الى الشارع يبحث عن المســتحيل ..
وعاد قبل دخول الليل بالمستحيل .. كانت معه نقود
وجذب من فوق الجدران عوده الـذى كان يمـــارس ع
هوايته .. وقال لى انه اتفق مع فرقة تعزف فى أحد الملا
الليلة .. مقابل أجر ضئيل كل ليلة .. وكاد يغمى
من الفرحة .. واندمج فى العمل الجـديد .. كان يـ
الليل حتى الفجر فى الملهى .. وفى الصـــباح يذهب
الكلية .. ولكنه بدأ يتكاسل فى نصف العـــام ..
يعود منهوك القوى .. فيلقى بنفسه على الفراش كالـ
البالية .. وبدأ كسبه من عمله يزداد ، وأجره يرتفع
ولم يعد يذهب الى الكلية .. ونقلنا الى شقة جديدة تنا
عمله الجديد !

وتراجع أهلى وأهله فى القرار الذى اتخذوه فى اا
.. وعادوا يتصلون بنا وأحيانا يفاخرون ويلومون أنفسهم
على موقفهم القديم .. كنت مصـــممة على أن أمضى به الى

القمة •• وتقدمت الى احدى الوزارات لالتحق بعمل بدلا من وجودى في البيت وحصلت على وظيفة •• حتى يمكن أن يساعد راتبي في تكوين البيت الذى كنا نحلم به ••

وذاع صيته كعازف وكملحن •• وبدأ الجميع يحسدونه على ما أحرزه من نصر في وقت قصير •• كانت السنوات تمضى سريعة •• واسمه يكبر يوما بعد يوم •• وكلما ازداد صيته بعيدا ازداد بعدا عنى •• أشياء صغيرة كانت تتجمع وتحجبه عنى •• تصرفات •• كلمات اشارات •• كلها كانت تقع في ضمير كل منا ، وتشوب النقاء العاطفي الذى كان كل رصيدنا لمواجهة الحياة •• ولفت قلبي ذلك البرود الذى أوشك أن يجمد حولنا كل شيء •• أو حولي أنا على الاقل •• أما هو فقد كان دائما متحمسا للمتحدثات ليه بالتليفون أو اللاتي كان يلوح لهن ، ويترددن عليه في لبيت أو يذهب هو اليهن •• !

لم أكن ضيقة الافق كما كان يحلو له أن يدعي •• وانما قط أردت أن أدق ناقوس الخطر قبل أن ينزلق •• كان لك الصرح الذى شيدته •• يمكن أن يتساقط ويتهدم ذا أغفلت عنه عينى لحظة •• سبع سنوات تقدر بسبعين اما من حياتي •• جعلتها وقود لهذه الشعلة •• شعلة التلحين الذى نبغ فيه •• وذرفت خلالها كل الدموع لكي نقب ذلك البيت الذى بدأناه من ثلاثين درجة تحت الصفر • ثم أصبح شيئا قائما معنى ورسما •• يعج بالحياة لحب ، ويصبح فيه طفلان ويمسك بدفته رجل مجنون ، أ يتغافل •• تعب من اليقظة المستمرة •• أبطرته سعادة •• وأنساه الكسب السهل ايام المعاناة •• وبحث عن شيء يشغله ما دام العيش يأتيه سهلا •• والجميلات ملء يمينه •• والباحثات عن الشهرة يتساقطن حوله ••

والسيدة من تلتصق به .. وكانت مهمتى الاسراع الى « الدفة » التي غفل عنها .. حتى لا تصطدم سفينة حياتنا بالصخور .. ثم ايقظ الربان الذي استسلم للاحلام .. ولكن الربان كان ثملا .. يمتص خمرته من أصابع فتاه .. ابتلعه شبابها الطازج .. كما تبتلع الرمال الناعمةانسانا سيء الحظ .. كان من الصعب انقاذه .. فقد غاص حتى قلبه .. وفوجئت به ذات يوم يطلب منى أن أضع الشروط التى أريدها .. لماذا ؟ لانه لايريد أن يراني فى البيت .. أخرج ؟ .. أغادر هذا البيت ؟ .. أطرد من بيتى .. من جلدى ؟ .. لا لن أطرد سوى مرة واحدة .. يكفى انني طردت من بيت والدى .. وقلت له أننى لن أخرج من هذا البيت .. انه عمرى .. انه جسدى الذى أعيش داخله أخرج أنت اذا أردت .. وخرج .. ومن يومها لم يفكر في أن يرسل الى ولديه مليما واحدا .. نسى ماضيه .. نسى أولاده .. أصيب بفقدان الذاكرة يوم أن تزوج الحسناء الصغيرة وأقام معها في أحد الفنادق .. أريد منه فقط النفقة التي يمكن أن تقوم بمتطلبات أولاد الملحن الكبير !

وجلست السيدة الصغيرة ليتقدم من بين الصفوف شاب دون الاربعين على عينيه نظارة سوداء فى ملابسه الانيقة ، وربطة عنقه ما يؤكد سهولة حصوله على الكسب ، ومضى حتى وقف أمام المنصة ، وراح يروى حياته بهمساته .. ووقفاته وتنهداته كأنه يلحن أغنية وبدأ يقول :

سيدى القاضي :

أبدا لن أقول أننى أخطات .. ولن أصم قلبى بالغباء .. أو أتهم عواطفى بالغفلة .. لا مكابرة وامعانا فى الضلال .. ولكن أعزازا لحب خلاق فجر في كياني طاقات فنية

كانت كامنة .. ومازالت جذوته تضيء الطريق لمواهبي .. وتأخذ بيدها لتتخطى عشرات الحواجز والصعاب .. واذا كانت تصورت بقدرتها المحدودة أن هذا الحب قد مات .. فهو في نظرى .. وفى قلبى .. وفى دمى حى لا يموت .. أما الذى مات حقيقة داخلها فهو قدرتهـــا على الحب .. قدرتها على أن تكون وعاء يحتوى ذلك القدر العظيم من الحب الكريم .. وهكذا غادرها الحب .. كعلبـــة فاخـــرة .. لجوهرة نادرة .. سقطت منها الجـــوهرة على الارض .. وظلت هى .. خاوية .. فارغة .. مظلمة باردة .. !

لقد اعترفت هى بتضحياتى .. وقد وهبت لها كل ذرة فى دمائى لأصنع لها الحياة التى تحلم بها .. لم يكن من المستقبل فى يدى الا خيوط من اشعة .. جدلتها بدموعى داخل بيتى .. من صميم جبهتى الداخلية .. ولم أجد بدا من أن أعفيها من وظيفة الزوجـة حتى تهدأ غيرتهـــا ، وتستقر عواطفها .

المحكمة :

وجلس الرجل الذى ما جاء الى اخر قصـــته حتى بدأ يرتعش وكأنه أصيب بالحمى .. وصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان المدعى قد عاشر المدعية بعقد صحيح اعترف به ، وعاش معها سبع سنوات كان من نتائجها ولد وبنت، ثم طلقها من التاريخ الذى اعترف به ، وتركها بدون نفقة لها ولولديها رغم بحبـــوحة العيش التى يعيش فيها .. .. وبناء على كل ما تقدم ، وبالاطلاع على المستندات الدالة على يساره والتى لم يطعن فيها تحكم المحكمة بنفقة قدرها ... شهريا .. وبالزام المدعى عليه بالمصرفات وأتعـــاب المحاماة .

وصايا عاطفية

صاحبة القضية تقف على ناصية الاربعين .. تحمل ملامحها أنوثة جادة مرهقة ولبشرتها لون الفاكهة الحمراء الشاحبة المعطوبة .. يحيط بوجهها ايشارب أبيض يبرز بقايا جمالها الذى يتمثل فى عينين واسعتين ، وانف مستقيم ويطبق فمها على بقايا شباب ينسحب أمام سنوات العمر . وحينما نودى على قضيتها خرجت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضي :

فجأة وبعد أكثر من عشرين عاما يريد هذا الرجل ان يطوى صفحة حياته معنا كأننا مرض كان يعانيه .. زوجة وسبعة أولاد وبنات .. من بينهم فتيات فى عمر الفتاة التي انطلق يمارس معها كل حماقاته ، كأنه شاب جرته الى الهاوية اغراءات عمره ، وغوايات شبابه فتناسى فى غيبوبته العاطفية التى يعيشها ما تفرضه عليه واجباته كأب حيال أبنائه من رعاية أبوية ونفسية ، وأحاطتهم بجو عائلي يكفل لهم مواجهة الحياة فى ثقة ، واطمئنان ، وأمان

بدأت الحياة معه من تحت الصفر .. كان يومها لايملك سوى شبابه الذى ينفقه في صنع الموبيليات عند أصحاب المحلات .. يستخدمونه أياما ، ويتعطل اكثر مما يعمل . كانت أحلامه السعيدة وقتئذ تنتهى عند محل متواضع وبضعة جنيهات تمكنه من أن يشترى الموبيليات القديمة

ثم يعيد بيعها ، ويوم استطاع أن يحقق هـذا الحلم فى شارع متواضع أحس كأنما تفتحت له ابواب السماء فى ليلة القدر .. وقفت بجـانبه .. أحنـو عليه ، وأعطيه الاصرار على النجاح .. ولم أحاول يوما أن أرهقه أو أضع أمامه عراقيل مشاكل البيت .. وهبته الليالى الخوالى والفكر الصافى الذى يمنحه القدرة على العمل .. وكان طبيعيا أن يمضى نحو أهدافه تسبقه أصابعى تمهد له الطريق ..

ويوما بعد يوم أصـبح شيئا يذكر فى هذا المجال فقد أصبح الرزق يسعى اليه بلا جهد أو مشقة ودخل سـوق أصحاب المعارض والموبيليات، وأصبح من المعروفين فى تجارة الاخشاب الخام والمصنوعة ولم تعد العشرات ولا المئات لفته بل أصبح يتعامل بالاف الجنيهات ، وعرفت البنوك اسمه ولم يعد يقلقه البحث عن الرغيف أو الخوف من عدم توافر أجرة البيت أول الشهر بعد أن أصبح من ذوى الاملاك .. وبدلا من أن يدفعه ذلك الى تكريس بقية جهـوده من أجل أولاده الذين طالما جار العمل عليهم ، وعلى حقهـم الابوى فيه .. ذهب بعيدا مع رغباته .. وكانت بؤرة احلامه تلك الفتاة التى بكل أسف قدمتها له بنفسى ..

كانت قد جاءتنى عن طريق صـديقة لى .. أدمت قلبى بقصتها .. فهى يتيمة تعول اخوة صغارا ، وأمها مريضة .. أسرة ينوء بحملها أقوى الرجال .. ولم تكن قد جاوزت السابعة عشرة ، وكل مؤهلاتها شهادة الاعدادية ، وتدفقت عواطفى حنانا .. وفى خضم المشاعر النبيلة التى تدفعنى الى فعـل الخـير .. بلا تبصر أو رؤية .. رحت ألح عليه وأرجوه أن يجد لها عملا فى أحد معارضـه .. واعتبرتها تماما كواحدة من بناتى ، فكنت أدعوها الى البيت فى أيام العطلات وبدأت ألاحظ اهتمامه العارم بها ، ولكن ذلك لم

يشغل تفكيري لحظة واحدة ، كبرياء مني ، واستهانة بشأن الفتاة ، وثقة بالرجل ، الذى كنت أضعه فوق كل الشبهات ..

وبلا مبررات كافية ، في نظري على الاقل ، شعرت أن الفتاة بدأت تغيب عن بيتنا ثم راحت تختفي شيئا فشيئا من مكان العمل ، وبدأ هو يتغيب أيضا ولم يعد يتحدث عنها بخير أو بشر ، ودخلت القصة كلها في متاهة من الغموض ، ولكن الهمسات كانت تجتاز منطقة الغموض لتجوس خلال البيوت والتردد في كل مكان الا بيتنا .. وأخيرا عرفت كل شيء .. طلب مني ذات يوم أن أعد له حقيبته لانه سيرحل في عمل الى الاسكندرية يستغرق بضعة أيام ، وكنت على يقين من أنه لا يقول سوى الصدق ، واذا بي بعد أيام ، وكنت مع أولادى نراه في أحد شوارع القاهرة داخل سيارة تاكسي ، وهي بجانبه ..

كان موقفي حرجا أمام أولادى ، ورغم كل هذا فلم أشأ ان أناقشه .. تركته يعود بعد ذلك ، وتظاهرت بأنني صدقت كذبته ، وخجلت من مواجهته بخطئه ، وتمنيت لو انه دار ظهره لذنبه يكفر عنه ..

ولكنه وفي جرأة راح يتغيب حتى الصباح .. كان يعود لينام فقط .. ولما ناقشته في هذا التأخير المتعمد هدد بالمبيت في الخارج .. وليلتها فعلا هاجر نهائيا اليها .. استأجر لها مع أسرتها فيللا في ضاحية وعاش هناك لايفكر في الاسرة التي عاشت معه أكثر من عشرين عاما .. أن بعض الاولاد قد طرد من المدارس لان المصروفات لم تدفع له ، فهم في مدارس خاصة .. لقد فشلت في تحديد وتنظيم علاقته بنا ، وذلك ما دفعني أخيرا الى اقامة هذه الدعوى ..

وجلست السيدة ليتقدم من بين الصفوف رجل يناهز الخمسين ، ولكنه يبدو فى شباب ابن الثلاثين ، رغم الشعيرات البيضاء التى تنتشر على جانبى رأسه فهو متين البناء فى نظراته ذكاء التجار ، شديد الاناقة ·· وقد اندفع الى المنصة ليقول :

سيدى القاضى :

السيدة التى كانت امامكم الان تتكلم كأنها حاكم عسكرى ، وتتصرف فى الوجود كأنها القدر ·· لا تريد ولا تقبل أن يناقشها أحد حتى ولو كان هو صاحب القضية التى تتحدث فيها ·· لقد ألقت على كاهلى بكل اخطاء الحياة الزوجية ، والذى يجب أن يصح أمام عدالتكم هو أن قاعدة حياتنا بنيت منذ أول الامر على خطأ ·· أقمنا البناء فوق هاوية عميقة يمكن أن تبتلع الهرم الاكبر ·· فقد كنت زواجى بها عملا عائليا محضا لا أثر فيه للعاطفة ·· كنت صغيرا ·· وكانت هى زوجة أخى الاكبر الذى توفى وترك ثلاثة أولاد ·· كانت العائلة كلها تفكر فى مستقبل أولاده وعلى ذلك تقرر زواجى منها ·· وتزوجتها ·· أحسست ان واجبى يحتم على الا أتخلى عن هذه المهمة الانسانية وهى مسئوليتى أمام أولاد أخى ·· ومن هنا جاءت الكارثة ·· كانت علاقتى بها قبل الزواج هى علاقة أخ أصغر بزوجة شقيقه الاكبر ·· كانت ترى نفسها منى فى موضع الناصح والموجه ، وعلى أن أستمع وأن البى ، ورغم اننى أصبحت زوجها ، وكبرت ، واستطعت أن أؤكد وجودى ماديا وأدبيا ·· الا انها وقفت علاقاتها معى عند نقطة معينة ·· كانت تظن دائما انها هى الاكبر ، وهى الاكثر نضجا ، وهى صاحبة الرأى الاصوب دائما ··

وكان يتبع ذلك ما يتطلبه من فرض الوصـاية النفسية على كل تصرفاتى وحركاتى وضـــقت ذرعا بكل ذلك .. فشلت فى اقناعها بأن الامور تتغير .. واننى لم أعد الفتى الغر الذى عليه أن يتقبل نصائحها بلا مناقشة ، ولكنها لم تكن تستمع .. كانت تنظر وتصمت ، وتعد ذلك منى ثورة تافهة .. ومن هنا بدأت قصة عذابى .. أحاول فى الخارج أن أكون شيئا هاما ، وانجح فى فرض نفسى على كل مستوى ومجتمع وتختارنى مجموعة من كبار التجار لاكون المتكلم باسمهم ،ومع ذلك أعود الى البيت لاجد هذه السيدة تحاول فى قسوة أن تضـــعنى فى مســـتوى أحد أولادها وتعاملنى مثلهم .. لماذا ؟ لست أدرى ..

وأصرخ ، وأحاول أن أفهمها ثم أهـرب كل البيت .. لا أريد أن أظل فى هذا المكان الذى يذيب كبريائى ويسلبنى مكانتى كرجل ناضج .. وفى هيامى الاعمى كنت ألجأ الى أى مكان .. فندق .. بيت صديق .. بيت قريب .. أى مكان يجعلنى أشعر اننى صرت بعيـــدا عن المحول الـذى يحطمنى لا لشىء الا لانه اعتاد تحطيمى ..

وكان ذلك الغياب يجعلها تتخيل أى شىء يحلو لها .. أحيـــانا تزعم اننى تزوجت وأخيرا تزعم أننى أعيش مع سيدات من صنع خيالها ، وهكذا .. ولكن الحقيقـة هى اننى هارب من فهمها لموقفى ، ومن سوء تقديرها لى كزوج تفرض عليها الواجبات احتـرامى .. اننى ما أهملت يوما حقوقهم المادية ، ولا يمكن أن أفكر فى ذلك ، وللمحكمة أن تشهد أولادها وأولادى على ذلك .. ومرة أخرى عز عليها أن تشكونى لاننى هجرتها عاطفيا ، اتخذت من الشئون المالية وسيلة للشكوى ، مع أن ذلك لم يكن ذات يوم محل بحث بيننا .. وكم كنت أتمنى لو انها شكت من هجرى

لها عاطفيا .. اذن لاحسست انني في بالها ، وانها تفكر في أمرى .. ولكن كبرياءها كالعادة أمسكت بها لتجعلها تتقدم بهذه الدعوى ..

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء في حيثياته :

ومن حيث أن المدعى عليه اعترف ضمنا بأنه يتغيب كثيرا ويترك الزوجة والاولاد دون نفقـــة ، ولما كانت المدعيـــة مستوجبة النفقة منه مع أولادها ، وقد حرمهم النفقة اعترف بيساره فضلا عن المستندات الدالة على ذلك والتى قدمتها المدعية لهذا ، وللاسباب المبينة انفا فان المحكمة تحكم بنفقة قدرها ... شهريا وبالزام المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ..

الأسباب غامضة

صاحبة القضية حسناء شابة لم تتجاوز الثلاثين ‥ وفي عينيها العسليتين عصبية وحيرة ، وقلق. ورأسها يهتز بشعرها الذهبي كأنها تطرد الافكار التي تعذبها وعندما نودى على قضيتها تقدمت نحو المنصة تقول :

سيدي القاضي :

من العسير على من اختارت أن تكون مهمتها في الحياة الكشف عن متاعب الاخرين ، واستنباط الحلول الذاتية لها ، أن تجد نفسها وقد وقفت أمام مشكلة حياتها عاجزة وكلما ظنت انها أمام حل ، لم تقدها خطواتها الا الى قلب المشكلة من جديد ، لتجد نفسها تمشي في مكانها ، وتدور حول محور من الوهم !

انني بكل أسف أعمل اخصائية اجتماعية ونفسية ، وقد التقيت به في العامين الاخيرين لدراستنا ،لم يكن في علاقتنا نزق أو طيش فقد كان كلانا فوق سن المراهقة ، وتبادلنا الاعجاب في تقدير رائع مما جعل علاقتنا عاقلة متزنة يضرب بها المثل بين الزميلات والزملاء ‥ !

ومع دراستي الطويلة الشخصية عن قرب ، كنت أشعر انه يمتلىء بالطموح الذي يرهقه في تنفيذ برنامج حياته ‥ حتى انه كان يسبق الجميع الى قراءة الكتب المقررة علينا قبل موعدها ، وكأنه يريد أن يعيش غده قبل أن تغرب

شـــمس اليوم الذى يعيش فيه وهذا ما كان دائما مثار مناقشاتنا ، مما كان يجعله مرهقا يكلف أعصـــابه فوق ما تطيق ، ويبدد طاقة حياته مقدما ، ويحلم بآمال واسعة عريضة لا تتفق وامكاناته ،ولا مع النمو الطبيعى الذى يمكن أن يصل اليه ، ولعل ذلك يرجـع الى ما كانت تعيش فيه أسرته من حياة عسرة بعض الشيء ، فرغم ان والده يشغل مركزا مرموقا الا أن العائلة التي انحدر منها لاتكاد تملك شيئا .. !

وقد كان والدى على النقيض تماما .. يملك ثروة لابأس بها يستغلها فى السوق وعمارة تدر عليه دخلا طيبـــا ، وعندما كنت ألومه على طموحه الشديد كان يرد على بأننى لا أمارس مثله الطموح لان والدى كفانى هـــذه الممارسة لانني وحيدته ، ولم يكن يبخل على بشيء .. !

وبعد هذه الصورة التي أرجو أن تكون واضحة انتقل الى بقية القصة .. فقد تقـــدم الى والدى يطلب يدى بعد أن تخرجنا وعملنا ، وأحس والدى ان هذه الرغبة هى رغبتى فأبدى استعداده الطيب وقام بتجهيـــز كل شيء .. حتى الشقة التي سكناها بعد الزواج كانت فى عمـــارتنا ، ولم يتكلف الرجل الذى أصبح زوجى أى شيء حتى مقدم المهر كان رمزيا ، ولم يزد على خمسة وعشرين قرشـــا ، وكان واضحا أن والدى قد احترم رغبتى فى الاقتـــران بهـــذا المخلوق الذى أودعته حياتي وامالى ومستقبلى ؟ !

ومضت الايام ، وحاولت فى رفق حشدت معه كل تجاربى فى معالجة المشـــاكل ، أن أتحسس مدى فهمه لمسئولية الزواج فقد ألقى فى استهتار بالغ بكل التبعات على عاتقى وعاتق والدي الذى كان يعاني ضائقة مالية بسبب تقلبات

السوق ، وما أنفقه في زواجنـــا ، وأفزعني من زوجي الا يكون لديه أي استعداد للقيام بواجبه كرب البيت ٠٠ كان ينفق راتبه عن اخره في سبيل أناقته ومظهـــره وعلبة سجائره الذهبية وولاعته ، والتاكسيات التي كان يركبها في تنقلاته ٠٠ !

وكان يمكن أن أنهي قصتي معه عند هذا الحد ، لو ان في نيتي مشاعر عدوانية نحوه ، ولكنني خشيت الفاجعة ، وكان والدي يجتاز فترة عصيبة نتيجة مرض من أمراض الشيخوخة أسلمته اليه هزة السوق ، وطويت نفسي على جراحي ، ورسمت على محياي سعادة كاذبة خدع بها الناس من حولي ، وقلبي يتمزق ألما !

ووضعت ابنتي ، وابتهلت الى الله أن تعيده الطفلة الى صوابه وان يدرك بعواطف الابوة انه أصبح ملتزما ببيت تعيش فيه قطعة منه ، ولكنه ظل سادرا في هواه ، معتمدا على مرتبي وموارد والدي التي أصبحت قليلة ، وخشيت أن أتحدث اليه فيعلم الجميع أن الزوج الاخصائي الاجتماعي وزوجته الاخصائية الاجتماعية يتنازعان على النقود !

وأخيرا جاءت الطامة الكبرى ٠٠ توفي والدي ، وحينما قامت البيوت المالية التي كان يتعامل معها بالحجـــز على ما بقي لديه ضاعت العمارة ، وكان علينا أن ندفع اجـرة الشقة التي نسكنها ٠٠ وفي أول شـــهر قلت له هـذا ، ورجوته أن يقوم بدفع الاجرة فقط في سبيل قيـامي بكل المسئوليات الاخرى ، ولم يجب عن حديثي بلا أو نعـم ، كان واضحا انه يعاني خيبة أمل كبيرة وذهب لينام ،وعندما استيقظ وجدته يضع ملابسه في حقيبته ويتأهب للخروج! ٠٠ وعز على نفسي أن أسأله ، فلم يكن قد صـــدر مني ما يجعله يغادر البيت وترك ورقة صـــغيرة قال فيها انه

سوف يرسل لى ورقة « حريتى » ونفذ قوله ، وكان واضحا ان الزواج بالنسبة له قد أصبح غير ذى موضـــوع ، فان زواجه منى كما رسم وصمم هو أن يعيش كمـا يريد حتى اذا توفى والدى وأنا وحيدته ورث العمارة والاموال التى فى البنوك ، واشترى لنفسه سيارة ، وحقـق احـــلامه القديمة ، ولما كان والدى قد توفى فقيرا فان واجبـه نحو اناقته يدفعه الى البحث عن ضيد جديد ، هذه هى الحقيقة يا سيدى ، ولست أطلب منه سوى النفقة لى ولابنتى .

وجلست السيدة الصغيرة ليتقدم من اخر الصـــفوف شاب فى الخامسة والثـلاثين .. رياضى الجســـم بادى الوسامة معنى بأناقته بشكل يلفت النظر .. وفى عينيه ذكاء خبيث وعند المنصة وقف يقول :

سيدى القاضى :

أرى لزاما على أن أوضح حقيقة الاســـباب التى أدت الى فصالنا انها أسباب كثيرة بعضها كان واضــــحا يمارســه اكلانا ، وهو يعرف تماما نهاية ما يمارسه دون القدرة على الرجوع عن هذا العمل وبعضها الاخر كان مقنعا وخفيـــا يعيش فى كيانها لا تعلن عنه بالقول وان كان يبرز فى كل قرار تتخذه .. كان كل فعل يصدر عنها حيالى يحمــــل بصمات هذا الشىء الذى تكتمه .. !

حقيقة ان والدها قام بتأثيث البيت ، وكل قطعــة فيــه كانت تملكها بحكم ما حدث ، وهذا ما كان يجعلهـــا .. حتى دون أن تشعر .. تحاول أن تفرض كلمتها وتحولت هذه المسألة فى خيـــالها الى شىء هام ، لا يزورنا زائر الا وتقص عليه ثمن كل قطعة من الاثاث ، وكيف حصل والدها عليها ، والظروف التى دفعته الى شرائها ، وكأنها تحـكى

للسائحين قصة ما يشاهدونه في أحد المتاحف وكل ذلك ينعكس على كل حياتنا فى المنزل .. فاذا دب بيننا خلاف أصبحت كالغريب ، وترفض « الشغالة » أن تقوم لى بأى طلب ، وكأننى نزيل بنسيون ثقيل لا يدفع أجرة اقامته ، ورغم اننى منذ أول شــهر دفعت اليها ايجار الشقة ، فان والدها كان لا يحاسبها وحتى أن كان يحاسبها فهذا ما لم أتدخل فيه .. كنت أودى واجبى فقط .. !

وبهذه الروح كانت تعيش معى بروح السيدة التى تملك كل شىء وكان ذلك يعذبنى كثيرا ويسعدها كثيرا .. !

فقد كانت ترى دائما فى والدها الذى يشغل منصــبا علميا ممتازا ما يجعلها تتلمس موضع فخـــار لوالــدها « المعلم » الذى مات دون أن يفك الخط ، وحتى تستريح حين توازن بين والدى ووالدها .. !

أما الاسباب غير الخفية فهى اننى اكتشفت انها لاتعرف فى شئون البيت الا كما أعرف أنا وفى كثير من الاحيـــان كنت أقضى معها فى المطبخ اكثر من أربع ساعات ثم نتناول الغذاء ، فاذا به شىء لاعلاقة له بالطعام ، وكان عذرها انها كانت « دلوعة » ووحيدة والديها ، وانهما كانا قد وهباها للتعليم ، وقد كانت هذه المسألة مقبولة فى العام الاول .. أما بعد ذلك فقد جعلتنى أكاد أفقد صوابى .. كنت كثيرا ياسيدى لاأجد أطباق الطعام فى غرفة النوم منذ أن تناولت افطارها لان « الشغالة » اليوم لم تحضر مثلا .. !

وعندما توفى والدها ، كان الكيل قد طفح ، وكان قد مضى على زواجنا حوالى ثلاث ســـنوات وفى كل مرة كنت أناقشها فى أتفه الامور وأبسطها ، تقفز صارخة منتحبــة مولولة .. تنادى والدها الذى ســـترى من بعده الذل ، وكيف ان والدها لو كان على قيد الحياة لما وجدت الجــرأة

على أن أعاتبها على زرار القميص المقطوع مثلا ، وجدت نفسى أفقد أعصابى شيئا فشيئا ، وفشلت فى كل المحاولات المخلصة التى حاولتها لاصلاحها مما دفعنى الى طلاقها وأنا حزين من أجل أشياء كثيرة ، فى مقدمتها ابنتى ٠٠ !

المحكمة :

وجلس الرجل وهو يلهث كأنه يجرى وصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان الزواج بعقد صحيح ، وقد اعترف المدعى عليه بالطلاق منذ التاريخ الذى جاء فى عريضة دعوى المدعية ، ولما كانت الطفلة التى رزقت بها من المدعى عليه مستحقة للنفقة ولخادم كما كان المستوى المعيشى الذى كانت عليه الحياة الزوجية قبل طلاق المدعى عليه للمدعية ٠٠ لهذا تحكم المحكمة بنفقة شهرية قدرها ٠٠٠ جنيها ٠

حياة مفروضة

صاحبة القضية بيضاء طويلة ذات خصر نحيل ، ووجه تحمل ملامحه براءة الطفولة رغم النظرات المحتشدة بالانوثة وعلى صدرها تتدلى ضفائر يختلط فيها الاصفرار بالسواد كشمس المغيب ، وعندما اتجهت الى المنصة بدأت تقول :

سيدي القاضي :

ان كل ما أعددته لكي أقوله أمامكم لا أجد الان منه عبارة واحدة في خاطري ولست بقادرة على أن أصور لكم حياتي مع هذا الانسان الذى تخلى عن كل ما يتصف به الانسان ويتميز به عن الحيوان ، ولتعذرني المحكمة اذا لم أجد بعض العبارات المهذبة لوصفه الوصف الذى يمكن أن يحدد صفته الحقيقية ..

لقيته في بيت احدى صديقاتي .. كان يزور زوجها لعمل ما .. وقدمتني اليه هذه الصديقة فعرفت انه يدير أعمالا مالية ، وشدتني اليه لهجته ، وأحسست منه اهتماما غير عادى ، وراح يطاردني بالتليفونات ويغدق على الهدايا ولعل شعوره بأنني مطلقة كان دافعه على أمل ، فلما أفهمته انني حريصة على سمعتي ، وان لى عائلة محترمة عليه أن يذهب اليها أن كان يريدني زوجة ، لم يتردد بل أسرع يتقدم الى شقيقي الذى يشغل منصبا ممتازا في احدى مؤسسات القطاع الخاص .

وبدأ يتظاهر بكل ما هو عظيم .. قرر أن يدفع صداقا

وأن يؤثث بيتا ، ويشترى لى سيارة ، ولم نجد فيه ثغرة واحدة تجعلنا نرفضه سوى ان فارق السن بيني وبينه كان أكثر من خمسة عشر عاما ، ولكننا تغاضينا عن هذا الفارق أمام ما أبداه من روح طيبة ..

وتم الزواج ، وانتقلنا الى فيللا في شـــارع الهـرم ، وحاولت اكراه نفسى على الحيـــاة معه ، ولكن كنت أرجو مخلصة الا أرزق منه بأولاد ، كان ذلك قبــل أن تدهمنى الكارثة ، واكتشفت حقيقته ..

وفي الاسبوع الاول من زواجنا فوجئت به يشرب الخمر كل ليلة الى أن يفقد وعيه ، وأساعده حتى يلقى بنفسه فى الفراش ، ويحدثني من خلال هذيانه عن حبه العنيف لى ، وينهال على يدى تقبيلا ثم ينام بعد ذلك ويســـتيقظ في الصباح معتذرا بأن الخمر ثقلت عليه .. !

وجاء الاسبوع الثانى ، ورأيت أن من واجبى أن أحاول الكشف عن سر هذا الرجل الغريب الذى كان متلهفا على الزواج ،وفجأة ماتت فيه كل رغبة لممارسة حقوقه التى كان يبدو ملهوفا عليها .. !

وحاصرته فى احدى الليالى محاولة أن أعرف الحقيقة ، وعندما أحس بالحصار ، تصبب العرق البارد ، وراح يخور كالثور المذبوح ، ومد يده يخمش وجهه بأظافره ، ودموع كحبات الجمر تندحر على خديه ، واعترف بأن ســـيارة انقلبت به ذات يوم ، وكادت تقضى على حيـــاته ، ولكن رجولته فقط هى التى غادرته ، وهى الان فى طريقها اليه بعد أن عولج على أيدى كبار الاطباء الذين أكدوا له انهـــا ستعود اليه بالزواج ، ولا شك انه يجتاز فقط فترة معاناة لابد منها !

وهبط الخبر على يسحق كيـــانى ويحطم داخلى قواعد

هشة كأنها القوارير ، ومع هذا الالم الذى اجتاحنى أشفقت عليه ، وحاولت أن أهون عليه الامر ، ودعوت له من أعماقى بالشفاء ٠

وبالفعل بدأت رجولته تعود فى صعوبة ومشقة ، وكان من الممكن أن يكون هذا الموت البطىء محتملا اذا أبعد عن رأسه شبح الغيرة والظنون التى كانت تأكل جسده نتيجة لاحساسه بعجزه ، ورغم اننى بذلت جهودا فوق طاقتى لكى أتجنب كل ما يثيره ٠٠ حتى الشبان من أقاربى طلبت منهم أن يمتنعوا عن زيارتى من أجل مشاعره ٠٠ ومع ذلك فقد كنت فى نظره مخطئة خائنة حتى لو نظرت الى شاب فى مجلة أو فى اعلان عن فيلم ٠٠ !

ولما لم يكن من المعقول أن تظل نوافذى مغلقة طول اليوم حتى لا تقع عيناى على شبان ، فقد رجوته أن يخفف من غيرته ، ولكنه أصر على انه يشك فى أن بينى وبين ابن عمى الذى يسكن فى الفيللا التى خلفنا علاقة آثمة ! ٠٠

وجننت لهذا الاتهام ، ولكن غيظى واحتدادى عليه جعله يزداد يقينا ، وأخيرا طلبت منه أن يكون عاقلا أو يطلقنى اذا كان قد فقد الثقة بى ، وذات يوم كان ابن عمى عائدا الى بيته ، اذا بزوجى يمسك به ، ويصيح محاولا اصطناع فضيحة يؤكد فيها أنه ضبطه ،وهو يغادر الفيللا من الخلف ولم يكن ذلك كله الا لكى يسقط نفقتى فى نذاله منقطعة النظير ، ولكن محضر الشرطة أثبت براءته ، وسقط الفخ الذى حاول أن ينصبه لى، وغادرت البيت ليلتها،فلم أستطع أن أقنع نفسى باستمرارى فى الحياة معه ، وبعدها أرسل الى ورقة الطلاق ، معتقدا انه حكم على بحرمانى من النفقة !

وجلست السيدة الجميلة التى أثارت الجميع بقصتها ،

وخرج من بين الصفوف شيخ في الخامسة والخمسين ، وبدأ يقول في صوت جهوري يرتعش من التأثر :

سيدي القاضي :

لقد قالت هذه السيدة كلاما أقل ما فيه انه لا يمكن أن يقال ، حتى لو كان قد حدث حقيقة فان السيدة الفاضلة ابنة البيوتات الكبيرة كما حاولت أن تصف نفسها كان يجب الا تفشي هذه الاسرار .. ان الحقيقة الوحيدة في ذلك كله هي أنني كنت مخطئا كل الخطأ في التقاط مثل هذه الفتاة لكي أخلق منها ست بيت .

لقد قالت أنها مطلقة ولكنها لم تكن المرة الاولى فهي ترتبط بأى انسان حينما تريد وتتخلص حينما تريد بطريقتها الشخصية ، وألقى بي سوء الحظ في طريقها .. فرضت نفسها على فرضا ، فقد جاءتني بها صاحبة البيت الذى أسكنه لكي تقوم بنظافة المسكن ، وشيئا فشيئا بدأت تفرض سيطرتها على المسكن ، وأعطيت لنفسها حقا لاتملكه وبعد أن كانت تغادر الشقة بعد العمل ، أدعت أن صاحبة البيت الذى تسكنه قد طردتها لانها تريد الغرفة لابنتها ، وانها عاجزة عن اقناعها ، وليس أمامها الا أن تبيت عندى .

وشعرت بالخطر من وجودها معي كنت أشعر أن شيئا ثقيلا يجثم فوق قلبي تركت لها الشقة وعشت في فندق بضعة أيام ، ولكنني تضايقت وأفهمتها أن وجودها في مسكني يمثل خطرا على بالنسبة لمركزى ،وأقنعتني بالزواج منها ، واعترف انني فشلت في مقاومتها . وتكشفت لى حقيقتها بعد الزواج ، عرفت بكل أسف انها نشأت عند

عمة لها سيئة الخلق وهى التى تقف وراء انحرافها ، لم يكن قد مضى على الزواج شهر واحد عندما وجدتها تتخذ من التليفون وسيلة للتحدث مع الكثيرين ، تنظم مواعيد مع نسوة كن يزورنها لا أظن انهن فوق مستوى الشبهات، ثم استغلت سيارتى فى مغامراتها ، بعد أن أقنعتنى بأن أنقل ملكيتها اليها تعويضا لها عن فارق السن حتى تفاخر بها أمام الجميع !

ولم يكفها ذلك بل افتعلت معركة معى غادرت على أثرها المنزل الى بيت صديقة لها ، واشترطت لعودتى أن أكتب لها كل منقولات الشقة حتى تشعر أنها تعيش فى بيتها ، وبعد أن تم لها ما تريد بدأت تمارس مغامراتها بشكل استفزازى مما جعلنى أخرج عن صوابى ذات يوم ، وأهجم عليها محاولا تأديبها ، واذا بها تصيح فى وجهى وتهددنى بأن أية حركة منى سوف تضطرنى لطلب شرطة النجدة ، وتصبح فضيحة ، والا فعلى أن أطلقها فى هدوء تام ،وأغادر الشقة الى مكان أختاره لنفسى ، وأن أترك كل شىء وغاظنى ذلك منها ، وفكرت فى قتلها ولكن وجدت ان الامر لايعالج بهذا الشكل ، والا أوديت بنفسى .. وفعلا تركت لها كل شىء ، واعتبرت نفسى خسرت ما خسرت فى صفقة من صفقاتى ، وذهبت الى فندق أعيش فيه وأرسلت لها ورقة طلاقها ، واتصلت بها تليفونيا لكى تحضر الى لتسوية مؤخرها ونفقاتها ، ولكنها أصرت على اللجوء الى المحكمة .

المحكمة :

وجلس الرجل الشيخ ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان المدعى عليه قد عاشر المدعية معاشرة شرعية ثم طلقها طلاقا بوثيقة مرفقة بالقضية ومنذ ذلك الوقت تركها دون النظر الى مستحقاتها ونفقتها ، وحيث انه يعيش في بحبوحة من العيش كما تؤكد المستندات المقدمة من المدعية لهذا وللاسباب المبينة تحكم المحكمة ، بنفقة قدرها ..... شهريا منذ تاريخ الطلاق ، وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

مرحبا يافندم

صاحبة القضية اجتازت الثلاثين ، معتدلة الطول ، رائعة التكوين ، لعينيها لون عسل النحل ، وانفها ينتصب شامخا فوق فم رقيق ، وشعرها ينسدل على كتفيها كرقائق الذهب وحينما ترفع رأسها تشد صدرا رائعا في اعتدال بجمالها الخصب ، وعند المنصة وقفت تقول :

سيدي القاضي

ليست قضيتي قضية نفقة فقط ، ولكنها قضية حياة ، وقلب ، وحب .. أيقظتني من غفوتي العاطفية في عنف هز معه أركان حياتي ، لم تعد لى تطلعات عاطفية بعد أن أصبحت أما لثلاثة أطفال ، وأقنعت نفسي بأن موعدى مع أى حب قد مضى وانتهى ، وكانت الظروف قد دفعت بى الى الزواج من أحد أبناء الاقطار الشقيقة والصفقة واضحة وعادية ومكررة .. رآني جميلة فقيرة .. تقدم وأنا فى السابعة عشرة .. وزلزل كيان الاسرة .. وانخلع قلبها أمام هدايا ذلك الفارس القادم من الشرق ..

وكما يطوى الانسان منديله طويت مئات الظروف وحملت الى عاصمة بلاده وعشت هناك .. فى محاولة لتأدية وظيفة الزوجة .. الزوجة التي تطبخ وتكنس وتنجب أولادا ، ولكنها لا تستعمل قلبها فى كثير أو قليل .. نسيت تماما الوظيفة التى تمارسها القلوب فى الصدور .. لم يكن

زوجي عجوزا ، وانما كان شابا في الثلاثين غير انه يرى أن يعامل الزوجة وكانها جارية اشتراها ، كمتاع أن شـاء استمتع به ، وان شاء عذبه ، وكانت لذة ذلك الزوج أن يعذبني .. كان يرضيه جدا أن يرى دموعي ، ويبهجه أن أتوسل اليه لكي يعفيني من الحياة معه .. ومضت الحياة .. وجاء الاولاد ، وأحسست أنني رهينة أولادي الثلاثة .. وفي السنة العاشرة .. أسقطت الالام كل مقاومتي .. عدم العذاب حصون اصراري ، واصبت بانهيار عصبي دمر أجمل مافي .. واضطر زوجي أن يرسلني الى القاهرة للعلاج .. وكان لوجودي في القاهرة والحنان الذي أحاطني به أهلي الاثر الكبير في عودة صحتي النفسـية الى .. وكان هو أقرب الناس الى ، كنت ألقاه في بيتنا اذ يمت الى والدي بصلة قرابة وكان يصحبني متطوعا الى عيادة الطبيب الذي يعالجني ..

وأحسست بنفسي تنطلـق من قيودها وبقلبي ينقبض ويعاود الحياة ، كما تعود الحياة الى الاشـجار الجافة في مطالع الربيع فتورق أغصانها كانت الحياة تدب دبيبهـا الجديد في جسدي فأكاد أحسها كقيود تسـقط عني .. وهو ينظر الى بعينين ناعستين ولا يتكلم كالمتعبـد الذي يتبتل في صمت .. وأحيانا يمسك بيدي فأحس بحرارته تنسكب في عروقي كأنه يدس الحب في وريدي ! ..

وجاءتني همساته .. كالسحر .. كالالحان ، كأطياف الرؤى لضرير يحلم بالابصار .. وتسـاقطت كلماته في أعماقي لدية .. باردة .. فوق أرض عطشي وادركت الخطر اللذيذ .. ولكن بعد أن تسلل الى كياني ، وأفقت منه عليه دفعتني يقظة عواطفي المفاجئة الى طلب الطـلاق من زوجي

لكى أتزوج من هذا الانسان الذى زين لى البقية الباقية من عمرى بزينة زائفة !

كان فى ذلك الوقت يتحسس طريقه كمهندس شـــاب مازال فى مراحل حياته العملية الاولى ، وحينما تزوجتــه وأرغمت نفسى على العيش فى حدود مرتبه شعرت أى قدر من التضحية قمت به لكى أرتبط به ، وصدمتنى الحقيقة بواقعها المرير ، وجاء الندم يحاصر أفكارى ، غير أننى كنت قبلت التضحية وأغرقت نفسى فى الحلم ، كلمـــا ايقظتنى الحقيقة دفعت بنفسى الى أعماق الخطأ كمدمنى المخـــدرات يتعاطاها ليهرب من عذاب حرمانها •• وليته أدرك أو قدر عظم هذه التضحية •• !

فوجئت به ذات يوم يساومنى على الطلاق •• الطـــلاق دفعة واحدة •• ! وقال انه وجد عملا أفضل فى بقعة نائية وهو مضطر الى طلاقى لان هـــذا المـكان لا يذهب اليه الا العذاب •• قصة ملفقة ، وحجة واهية •• مزقت كرامتى وسحقتنى كأمرأة •• بهذه البساطة يريد أن يلقى بى من حياته رغم تضحيتى وشعرت اننى كنت ساذجة •• هنت على نفسى ، وبذلت روحى رخيصة ، وبذرت حب حيـــاتى لا فى أرض جدباء ، ولكن فوق صفحة مياه راكدة متعفنة ، ولم أجد فى نفسى ما أقوله له •• ماتت الكلمات على لسانى •• فما كانت تطاوعنى نفسى أن أتوسل اليه ،وأنا المتفضلة عليه ، ورضيت بطلاقى على أن يدفع لى نفقة شهرية بالاضافة الى مؤخر الصداق ، ولكنه لم يدفع سوى الشهر الاول ثم توقف مما اضطرنى أن أقيم ضده هذه الدعوى •• !

وجلست السيدة الجميلة ليجىء من بين الصـــفوف رجل فى حوالى الثلاثين نحيف •• أصفر باهت البشرة ••

فى عينيه نظرات ميتة ٠٠ متناسق الملامح أسود الشعر لامعه ، شديد العناية بملابسه ، يمشى مشية غير الواثق بنفسه تقدم الى المنصة يقول :

سيدى القاضى :

انني مزدحم بالظلمة والظلام ٠٠ تكاد ظلمة أعماقى تحجب عنى نور النهار ٠٠ لقد اقتحمت هذه الانسانة كيانى بكل تجاربها وخبراتها ،والتقطتني كما يلتقط طفل عصفورا بلله مطر الشتاء ثم يمضى يلعب به ، ويتسلى بتعذيبه ، يقتله مرة بعد مرة ويميته فى كل لحظة عشرات المرات !

هاجمت قلبى عنوة بأنوثتها المدربة الناضجة ، ودخلته لتجوس خلاله ٠٠ فى جولات صاخبة كمخمور يحطم كل ما يلقاه من مصابيح مضيئة ، وجرتنى أول الامر بشكواها من الحرمان ، وقيدتنى اليها بدموعها التى تسكبها من جحيم حياتها مع زوج لم يفهم عواطفها ، ولم يهدهد قلبها طول عشرتها معه ٠٠ رجل أذل أنوثتها وسحق أعماقها ، وجعل كيانها « خرابة » تغطيها فساتين غالية ، وأصباغ ملونة ٠٠

واندفعت نحوها بكل حماقة شبابى ، والقيت تحت قدميها بسنوات عمرى الماضية ومستقبل حياتى القادمة ، ولا أمل لى الا أن أسعدها ، وأشاركها هذه السعادة حتى ولو كانت بقية مائدة السعادة التى أعدها لها ٠٠

ولم يكن ذلك سهلا ٠٠ ناصبت أهلى العداء ٠٠ هبوا جميعا يلومونني لانى أتزوج امرأة مطلقة وكانت أكثر الناس حزنا لهذا الامر والدتى ٠٠ غير اننى بذلت جهودا كبيرة أحاول فيها أن أرفع من ذهن والدتى تلك الحساسية التى تصاحب اسم المرأة المطلقة حين يلوح لها الزواج الثانى

وقالوا انها لو كانت تصلح للحياة الزوجية لما تخلص منها الرجل الذى أنجب منها ثلاثة أولاد ، ولكنى كنت أقنعهم وأقنع نفسى انها ضحية ظروف لا ذنب لها فيها •

وتزوجتها ، وفي البيت تبين لى يوما بعد يوم كيف ان الرجل الاول دمر المرأة الطيبة فيها امتص منهـا خلال السنوات العشر كل شىء يجتذب الرجل فى المرأة •• زرع داخلها أشواكا سامة وأحاطت نفسيتها بأسلاك شائكة •• وأذل أعماقها ذلا تفجر بعد معاملتى الطيبة لها ، وخرج فى شكل تصرفات ترمى منها الى الانتقام من الرجال ، وكان الرجل الذى دفع به القدر أمامها هو أنا ••

لا أكاد أفتح فمى حتى تندفع فى الكلام ، والعتـاب والسب لاننى تأخرت بعض الوقت فى الخارج ، ذات ليلة وضعت لى الطعام لاتناول العشاء ، ودخلت غرفتها وأغلقتها بالمفتاح وأصرت على أن أنام فى الصالة أو فى غرفة الصالون عقابا لى لاننى تأخرت •• مرة أخرى كنت معها فى السينما وعند الباب التقيت بأسرة صديقة ، وما كدت أتبـادل مع أفرادها السلامات وأقدمها لافرادها حتى انقلبت سحنتها وتركتنى وقفزت فى تاكسى الى البيت ! وليلتها قضـيت الليل أحاول أن أوضح لها الموقف ، ولكن عبثا •• وفى الصباح لم ينقطع صياحها وأصرت على الا أغادر البيت قبل أن أصفى الموقف بطريقة أو بأخرى وكانت أعصـابى قد التهبت تماما طول الليل ساهرا ، والمناقشة مزقت صبرى ، ولا ذنب لى حتى أبرره ، وتخلصت منها لاغادر البيت الى عملى ، ولكن عز عليها ذلك فأسرعت تبتلع حبات الاسبرين لكى تنتحر ، واضطررت الى البقاء معهـا وكان يوما بين الشرطة والقصر العينى كحظى معها سواء بسواء !

هذه عينات على سبيل المثال لا الحصر من يومياتي معها .. أخيرا أحسست اني لابد أن أدفع ثمن حماقتي ،وأقدمت على طلاقها ، وطلبت نقلي الى مكان ناء حتى أتخلص نهائيا منها ، ولم يحدث أن امتنعت عن دفع المبلغ الذى كتبت به تعهدا لها على نفسي ، ولكنها فقط تقيم هذه الدعوى نكاية بي ، والا فكيف أكتب لها هذا التعهد بتقدير سـخي من نفسي ثم أرجع عنه ؟!

المحكمة :

وجلس الرجل الذي أثار الجميع بقصـته مع الزوجة الجميلة ، وصدر الحكم الذي جاء في حيثياته :

وحيث أن المدعى عليه قد تزوج من المدعية بعقد صحيح وعاشرها معاشرة سليمة من تاريخ العقد حتى تاريخ الطلاق ولما كان الطلاق قد تم بعد أن كتب المدعى عليه تعهدا بخطه مقدرا لها نفقة قدرها ... شهريا مرتضيا ذلك دون ضغط أو اكراه .. ولكنه لم يدفع لها سوى شهر واحد ثم توقف والمحكمة تحكم باستحقاقها النفقة التي تعهد بها المدعى عليه وقدرها .. جنيها شهريا ، وتلزمه بالمصروفات وأتعـاب المحاماة .

أعصاب مقهورة

المحكمة محكمة حلوان والدائرةدائرة الاحوال الشخصية للمسلمين ، وصاحبة القضية لم تتجاوز الثلاثين .. رشيقة القوام .. محتشدة الصدر .. مفرطة الانوثة فى ملامحها .. قصيرة الانف .. بارزة الوجنتين .. ينحصر فمها فى مساحة ضيقة .. وتنوء شفتها السفلى بحمل شفتها العليا .. فتبرز قليلا من الوسط فى امتلاء يأخذ العين..ويكشف عن نصف الانسنان فكأنها تبتسم دائما .. وتنذر مع نظراتها الصاخبة الانوثة دفئا مثيرا ويحمل ذلك الوجه عنق من البللور المضيء بالاحمرار .. وحينما وصلت الى المنصة، قالت :

سيدى القاضي :

انني فى صراع حقيقي يوشك أن يعقد لسانى بين أن أقول لكم كيف وصلنا الى ما وصلنا اليه ، وبين أن أطوى جوانحى على ما فيها .. فقد قضى الامر ، ولم تعد المسألة نفقة للبنين .. ولكنها أبعد عمقا ، وأكثر بدأ من ذلك ..

أنها حياة انسانة أعطت حتى لم يبق عندها ما تعطيه .. وأخذت من الامومة ما يكفى لكل نساء الارض .. ولكى تدركوا مشقة المهمة الملقاة على عاتقى الان .. أقول لكم انه من المستحيل أن أصف حياتى مع رجل يتخيل من الاوهام ما هو غير موجود .. وينكر كل ما هو موجود .. ان العذاب الذى تعذبته أوشك أن يترك أثاره على نفسى ، وذلك أخطر ما كان يمكن أن يصيبنى لولا تدخل الاطباء .. وبين أوهامه

وواقعه كان عذابي الذي وضعني على حافة الدمار •• حينما تقدم لي ، لم يكن في وسعي أن أرفض كان المجتمع يضغط علي بكل قسوته •• وكنت قد رفضت قبله بشهر واحد رجل تقدم الي عن طريق شقيقي •• وشعرت انني لو رفضت هذا أيضا فان الجميع حولي سوف يرمونني بالجنون •• وتقبلته حتى لا تلوك الالسنة سمعتي •• ولم يكن شيئا كريها يومها كما صار بعد ذلك •• كان طيبا وودودا •• أبدى استعداده للحياة •• وكان يشغل عملا لا بأس به في أحد مصانع القطاع العام ، واكتسب ثقة رؤسائه بدماثة أخلاقه وبعد الزواج أقبل بعض رؤسائه يهنئونه •• وخلال العام الاول والثاني كان أكثر من ممتاز ، ولكن لم أكد أضع طفلتي الاولى حتى انتابته حالات الشرود •• وافترسته حالة عصبية تثير العجب •• ساعات طويلة يقضيها محملقا في لا شيء •• مستغرقا كأن هموم الدنيا كلها من نصيبه وحده •• وبدأ يخسر كل الاصدقاء الذين كسبهم في عمله •• وكانت تصلني أخبار معاركه ومشاجراته •• وشيئا فشيئا حاولت أن أصل الى سره ، ولكنه كان يبكي دائما ، ويؤكد انهم يضطهدونه في العمل ، وان كل رؤسائه يدبرون له المؤامرات لكي يلقوا به في السجن •• ولم يكن هناك في الواقع أى شيء من ذلك الذي يتخيله •• وعندما سألته لماذا يطاردونه بالذات ؟ •• أجاب بأن كل هذه المصائب تهبط على رأسه بسببي •• لان رئيسه على علاقة بي ، وانه يتردد على أثناء غيابه وكان ذلك مفاجأة لم أتوقعها منه •• وكان من العبث أيضا أن أحاول اقناعه ببراءتي فذلك ما تصوره ورسبه في ذهنه •• واستغرق في الحزن الذي يحتمه عليه موقفه الذي يتخيله •• فهو لا يستطيع أن ينظر في عيون زملائه لانهم يعرفون هذه العلاقة المشينة

.. وكذلك رئيسه يهدده بالطرد اذا هو اثار هذه العلاقة أو تحدث عنها والى هنا كان على أن أذهب به الى أطباء الامراض النفسية .. وحاولوا علاجه بشتى الادوية وعشرات الجلسات ، ولكنهم جميعا عجزوا عن اقتلاع الفكرة السيئة من أعماقه وفوجئت به ذات يوم وهو يعود الى قائلا انه طلقني .. وانه استراح اليوم فقط وحينما رفضت أن أغادر البيت ظنا منى انه يسبح فى خيالاته .. ذهب الى أخوتى وجاء بهم ليأخذونى بعد أن أبرز قسيمة الطلاق .. وأمام ذلك لم يكن أمامى الا أن أغادر البيت ومعى طفلتى .. وطالبته بنفقة للطفلتين ، ولكن تناسى نهائيا ، وانكر انه والد الطفلة وانه يشك أيضا فى نسبتهما اليه ..

وجلست السيدة ليتقدم من بين الصفوف شاب لم يتجاوز الخامسة والثلاثين .. يرتدى ملابس أفرنجية متواضعة .. مصرى الملامح .. فى عينيه بريق منطفىء .. كان ينظر الى الداخل .. جامد الملامح رغم سماحتها .. تبرز جبهته قليلا .. ولا تكاد ترى ذقنه حتى يخيل اليك انه غير موجود .. وكان يعبث بأصابعه ، وهو يمشى فى تثاقل نحو المنصة .. ثم قال :

سيدى القاضى :

اعترفت المرأة التى افترستنى اننى قبل أن أتزوجها كنت سليم الاعصاب .. وكنت مثال الزوج الناجح .. واذن فان ذلك الذى أصابنى كان بفضلها وعلى يديها .. والذى لاشك فيه انها هى التى وضعتنى على هذه الحافة . وما دام هذا هو اعترافها فقد كان يجب عليها أن تحدد الاعمال التى ارتكبتها ضدى ، والتى ظهرت اثارها على فى

شكل أمراض عصبية •• تهاجمني مرات •• وتعفوا عنى أحيانا أخرى ••

أنا لســت مريضا ، واذا كنت مريضا فان أمراضى فى الحقيقة هى هذه السيدة •• ومنذ أن تخلصت منها أشعر بكثير من الشفاء •• حقيقة اننى مازلت أشعر بالانسحاق •• بالضياع كأننى فى زورق بلا شراع •• أتفــرس فى وجوه الناس بحثا عن لاشىء •• ومع ذلك فاننى أشــعر بالتحسن •• فقد كانت هى صاحبة خطة دفعى الى الجنون •• والا فكيف أعلل اصرار رئيسى على زياراتى المتكـررة ، وفيض الهدايا التى يغرقنى بها •• ولماذا هذه الهمســات التى تطاردنى والنظرات الغريبة التى يرمقنى بها الزمـلاء •• انهم يتجنبوننى •• ويبتعدون عنى لقد صرت منفيا •• أشعر أننى أعيش فى جزيرة معزولة •• وأنا وحدى فيها مع الاشباح ••

أنها منذ وضعت الطفلة لم تعد تحس بوجودى •• أنها لم تهملنى فقط •• بل تنسى نهائيا أن لها زوجا له عليهـا بعض الحقوق •• لا تكاد تعيش فى البيت •• كلما جئت وجدتها فى الخارج •• واذا عادت لا أكاد أعـرف فيهــا الزوجة التى تزوجتها •• ملابس لا يمكن أن تكون من النقود الضئيلة التى هى كل دخلنا •• وأحذية وحقائب وباروكات ومصائب أخرى •• واذا فتحت فمى اجتمع كل النـــاس ضدى •• فاننى رجل مريض عصبيا ، وظنونى وشكوكى هى التى تخيل لى ذلك وهى بريئة مظلومة ، وأنا لابد من علاجى •• وأوشك أن أصدق الناس وأصدقها ، وأكـذب احساسي •• وأنكر كل الادلة التى تحيطنى وتطـوقنى ، وتلتف حول عنقى توشك أن تخنقنى •

ورغم كل شيء فقد استسلمت للفكرة التي وسبتها في ذهني وطاوعتها في عرض نفسي على أطباء الامراض العصبية الذين أوشكوا أن يدمروني ، وأرهقوني بالاسئلة والاستجوابات .. ولكن الداء كان في بيتي .. الداء داخل ملابسي وكان على أن أقدم على هذه الخطوة التي ظللت مترددا في الاقدام عليها طول هذه الشهور الاخيرة .. وهي متأكدة تماما كما انى متأكدا الان من أن طفلتها لا تنتسب الا من خلال شهادة الميلاد .. ورغم ذلك تجد الجرأة على مطالبتي بنفقة لها .. لقد كنت كريما معها حينما قبلت أن أعطيها كل شيء في البيت .. ونفقة عام أيضا .. الا ترون معي هذا ..وعليها أن تجد لطفلتها النفقة عند الرئيس الذي يستعد للزواج منها .

المحكمة :

وجلس الرجل الذي بدأ يخلط في الكلمات والوقائع وصوته يعلو شيئا فشيئا حتى صار أقرب الى الصراخ ..

وصدر الحكم الذي جاء في حيثياته :

ومن حيث أن المدعي عليه تزوج بالمدعية بعقد صحيح وعاشرها معاشرة الزوجية الكاملة التي كان من نتيجتها ان أولدها طفلة ثم طلقها بالوثيقة المؤرخة في ١٩٧٢/١١/١٨

وحيث أن النفقة ثابتة عليه شرعا ، وحيث انه يعمل ويتقاضى مرتبا شهريا قدره ... جنيه ، فان المحكمة تحكم بنفقه قدرها ... جنيها شهريا ، وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

السياط الخفية

صاحبة القضية جاوزت الثلاثين ، طويلة ، رشيقة في وجهها أنوثة ناضجة وشعرها الاسود ينساب حول وجهها في اهمال متعمد ولعينيها الواسعتين مغناطيسية لا تقاوم وقد تقدمت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضي :

الذي رأيته على يديه من العذاب كان يكفي لعذاب جيل بأكمله من النساء فقد قتلني في بطء ، وأحرق روحي من الداخل ، وجعلني جثة تعيش وتتنفس ولكنها بلا حياة .. بسمتي جفت على شفتي ، ونضارتي سالت مع دموعي وكان سعيدا بكل هذا .. كأنه يعاقبني على كل أخطاء البشر !

كان لقاؤنا ذات مساء في عرس احدى صديقاتي ، وقالت الزميلة انه خير من يعينني في مشكلتي ، فقد كنت أريد أن أنقل الى القاهرة بعد أن قضيت في الاقاليم الفترة القانونية ، وكان ذلك بالنسبة لي الامل الوحيد الذى أرجوه في هذه الايام ، فقد أحيل والدى على المعاش وكان لى أخوة صغار في حاجة الى وجودى والى راتبي ، وأبدى من الاهتمام بمشكلتي ما جعلني أستعيد ثقتي بالبشر ، وأفهمني ليلتها ان هذه المشكلة في رأيه أهون عنده من ارتداء جاكتته .. !

وظل يتردد على منزلنا بهذه الصفة .. صفة المنقذ الذى سوف ينقلني من الاقاليم ، ونجح فعلا في نقلي الى القاهرة،

وعرفنا خلال ذلك انه يعمل فى احدى الشركات الطبيـة ، وان له صلات طيبة فى أكثر من جهة ، وبعد أن تم النقل جاء مع قريبته زميلتى يعرض علينا الخطبة ..

وقلت له ان هذا القرار كان مفاجأة لنا ، فالاسرة تعيش فى دوامة ما بعد المعاش ، ولم نرتب أمورنا بعد ،ولكنه كان ذكيا فتظاهر بأنه من فرسان القرون الوسـطى ، وأبدى كل استعداده لان يقوم بكل نفقات تأثيث البيت ، وليس هذا فحسب بل قام فينا خطيبا يشرح كيف انه لا يوافق أبدا على أن يتزوج لكى يجعل حيـاة الاخرين فى أزمة ، ولكنه يفعل ذلك وهو يضع فى اعتباره أن يتكفـل بكـل متطلبات الحياة ، ولديه القدرة المادية على ذلك ..

وتركنا فى نشوة نتحدث عن رجولته النـادرة التى من الصعب أن تكون موجودة فى القرن العشرين وقال والدى انه طول عمره يدعو لى من كل قلبه ، وقالت والدتى انى استحق مثل هذا الرجل الذى سـاقه القدر الينا يحمل قلبا من ذهب ، وثروة من ذهب أيضا !

وفى يوم الزفاف ، كانت السعادة تسـبق خطواتى ، والحظ يأخذ بيـدى والى جانبى رجل يمكن أن أفاخر به أفاخر به العالم ، وأصبحت فى عملى محسودة من الجميع وحولى أهلى ، وأمـامى زوجى الـذى يحبنى .. ولم يعـد ينقصنى الا شىء واحد ، يؤكد انوثتى ويزيد من ارتباط زوجى بى .. وأحسست بعد شهور انى مقدمة على تحقيق هذا الامل ، ونقلت اليه الخبر ونفسى تفيض بالسعادة ، واذا به يتلقى الخبر كأنه صـاعقة تهبط عليه واذهلتنى طريقته فى استقبال الخبر ، وزاد من دهشتى انه أصر على أن يعرضنى فى اليوم التالى على طبيب لكى يحاول تخليصى

من هذا الجنين .. لماذا ؟ لانه لا يريد أطفالا ! وراح يقنعني .. انني أعمل الآن ، ونحن في مستهل حياتنا ، ويجب الا يشغلنا الاطفال عن أهدافنا .. !

ورغم ان هذا الموقف كان صـدمة مدمرة لاحلامي ، الا انني رغبة في ارضائه والاستحواذ على حبه أطعته وجازفت بحياتي ، وتقبلت العذاب وضياع الامال بنفس راضية ، رغم الدموع التي كنت أسكبها كلما خلوت الى نفسي ! وتماثلت للشفاء وحاولت أن أروض نفسي على قبول الحياة معه على هذا النحو ، ولكن هذه العملية التي تركت اثارها على جسدي وفي نفسي كانت كالنقطة السوداء في الثوب الابيض !

ورغم الحذر الشديد وكافة الاحتياطات التي اتخذناها لعدم الحمل الا انني حملت مرة أخرى ، وثارت ثائرته ، ونظرا لانني لم أكن اتوقع أن أحمل من جديد فأنني لم أتنبه الى ما حدث الا بعد مدة طويلة ،فقد تجاهلت الاعراض الاولى نظرا لانني كنت أتعاطى أقراص منع الحمل ، ومن أجل هذا عندما ذهب بي الى الطبيب اعتذر له بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئا فقد فات الاوان ، واعتبر ذلك مؤامرة مني على مستقبله ، وانني خدعته حتى أضعه أمام الامر الواقع .

وقد أثارني منه هذا الحديث المغيظ ، فصرخت في وجهه أسأله عن تلك الاهداف المشتركة التي يمكن أن تكون بين زوج وزوجته ان لم تكن انجاب طفل يملأ الحياة بهجة ، ويضفي عليها أجمل المعاني ..

ولكنه انقلب الى النقيض ، وحول البيت الى حلبة مصارعة بيني وبينه يرغمني كل يوم على حمل أثاث البيت

حتي يسقط ذلك الجنين ، ولم تفلح هذه الطريقة فتـولى هو نفسه ضربي فوق ظهرى بكـل قوته ، وكان في أول الامر يأخذ المســألة على شــكل المداعبة المؤلمة ثم كشف عن انيابه في وصلات من التعذيب الذى أخرجني عن صوابي وكان على أن أدافع عن نفسي وعن الجنين الذى أحمله في أحشائي .

وذات ليلة عاد يتطوح من الخمر ، وكانت نظراته تنبيء عن الامر الذى اعتزمه ، واقترب مني يريد أن يجهضـني بالضرب مهما كلفه الامر ، ولم أجد مفرا من أن أهرب في الهزيع الاخير من الليل الى بيت والدى خوفا على حياتي ، وهناك وفي الفترة التي تجاهلنا فيها تجاهلا تاما عرفت السبب فقد تعرف على زميلة في العمل ويريد أن يتزوجها ومن أجل هذا لايريد رباطا يقيده بعد الطلاق ، ورغم انني وضعت طفلتي ، وأرسلت اليه فانه تجـاهل كل شيء مما اضطرني الى الالتجاء للقضاء .. !

وجلست السيدة ليتقدم من بين الصــفوف رجل ربع القامة ، مربع الوجه عريض الجبهة ، جـرى الشـيب في جانبي رأسه ، أنيق الملابس الى حد يلفت النظر وتقــدم ليقول :

سيدى القاضي :

كل ما قالته هذه السيدة عن العــذاب هو حقيقة .. العذاب الذى يؤدى بمن يقع عليه الى الجنون .. الخـلاف الوحيد هو أنني الذى كنت ضحية هذا العذاب .. وكانت هي صاحبة الســياط التي كانت تهوى بهـا كل يوم على موضع جديد من نفسي !

حقيقة أن كل مالاقيته كان ثمنا هينا لتسرعي واندفاعي

فقد كنت أظن أنني أحقق أحــلامي بالزواج من فتـــاة جميلة على قسط طيب من التعليم •• فتاة من أسرة مكافحة لاتقضي أيامها ولياليها في النوادي أو على أبواب محـلات الازياء ، ورغم أن كل المحيطين بي كانوا يلومونني على هذه النظرية التي أعتنقتها والتي بدأت أنفذها فانني مضـيت في طريقي ودفعت كل ما يتطلبه الزواج من نفقـات حتى ملابسها ، ولكن يبدو أن مثل هــذه الاسر التي تعيش في مستوى اقتصادي معين ، لم تتعود أن تجد من يبــذل لها العطف والخير صــادقا وبلا مقابل •• ولذلك كنت أري الشك في نظراتهم ، وكأنني متهم بالاحسان !

وكنت أرى كل هذا مرسوما بوضوح في نظراتها أيام الخطبة ، وفي صوتها كلما تحدثنا معا ، وفي مشيتها اذا ما خرجنا ، ولم يكن ذلك يرضيني ولهذا كنت أحاول أن أجعلها تخلع ذلك الثوب الرقيق الذى كانت ترتديه تحت جلدها •• !

وانتقلت الى بيت الزوجية وهي تحمل نفس الشعور •• شعور الذليل الذى أسره الاحسان ، واستولى عليه الجميل الذى لا يستطيع أن ينكره ، ولكن ماكادت تستقر في البيت حتى أرادت أن تعوض كل ذلك بلا وعي ، مدفوعة بالشعور بالضعة التي كانت تعيشها ، والمركز الجديد الذى أصبح عليها أن تشغله في المجتمع !

ولعل احساس الفقر دفعها الى أن تؤمن نفسها بالسرقة المستمرة تحت اسم التوفير ، وتحول كل مبلغ يقع تحت يدها الى بيت والدها ، وحتى تشعر نفسها انها متساوية معي تماما ، راحت تتصنع الاستعلاء الكاذب والمضحك في كثير من الاحيان ، فهي تصر على شراء مجموعة من البنطلونات التي لا تصلح الا للرحلات مع اننا لم يحدث أن خرجنا في

رحلة واحدة ، وأصرت على أن تجيء « يشغالة » و « دادة » يتقاضيان مرتبات شهرية واشترت اسطوانات لكى تتعلم الرقص ، وكان كل ذلك يجرى أمام عينى وكأننى أشـهد مسرحية هزلية !

وكان على أن أتدخل حتى لا أتركها تقتل نفسها ،وطلبت منها فى حزم أن تراجع تصرفاتها ، وأن تتخلى عن واحـدة من الاثنين « الشـغالة » أو الدادة وان تعيش كما يعيش أهلها أو أحسن منهم قليلا ، ولكن ذلك كان ايذانا ببداية الثورة على ، واعتبرت هذا الكلام ماسا بأهلها ومسـتوى أهلها الذين لا يدانيهم فى عراقة المنبت والاصـول مخلوق على وجه الارض ، وما دامت نظرتى الى أهلها تغيرت فلابد أن تذهب اليهم فورا لتؤكد لى انها ليست حريصـة كل الحرص على حياة القصور التى قدمتها لها ، وانها لن تموت جوعا اذا عادت الى بيت والدها ، والحقيقة انها مازالت حتى الان تنفق من نقودى ، وقد دفعت لها مصرفات المستشفى والولادة ، وكل ما تتطلبه الولادة قبل الوضع وبعده ، ومع ذلك جاءت تشكونى بالنفقة وتخترع قصة كراهيتى للاطفال الامر الذى يشك فى قبوله كل أب ، وهى بذلك تصـفنى أمامكم فى صورة الاب الهارب من الانفاق على طفلته وهى الصورة التى لا أرضاها لنفسى وكان الاجدر بها أن تعرف انها تريد موردا جديدا للنقود لكى تدفع به الى أهلها .. !

المحكمة :

وعاد الرجل الى مكانه وصـــدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث ان المدعى عليه قد دخل على المدعية بعقد صحيح، وعاشرها معاشرة الازواج وقد انجبت المدعية نتيجة لهـذه

المعاشرة الطفلة التي تنتسب اليه شرعا ، وبشهادة الميلاد، وحيث أن المدعى عليه لم يطعن ولم ينكر كل هذه الوقائع، واعترف بأنه تركها تنكيلا بها فى بيت والدها مع طفلتها بلا نفقة لاختلاف بينهما على وجوه الانفاق ، لهذا الميلاد ، وحيث ان المدعى عليه لم ينكر كل هذه الوقائع ، واعترف بأنه تركها تنكيلا بها فى بيت والدها مع طفلتها بلا نفقة لاختلاف بينهما على وجوه الانفاق •

لهذه الاسباب التى أوضحتها النيابة تحكم المحكمة لهـا بنفقة شهرية وبالزام المدعي عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة

لا إكراه فى الحب

صاحبة القضية على مشـــارف الاربعين ·· ممتلئة فى تناسق مترابط ·· رائعة التكوين بارزة الاعضـــاء ·· مستديرة الوجه ·· لبشرتها لون الشفق حينما يذوب في ضياء الصباح ·· تملأ قسماتها أنوثة ناضجة ومقتدرة ·· ترمي عيناها نظرات واثقة ومعتدة ·· ذات أنف قصير يشد معه شفتها العليا ·· لتكشف عن فلجة فى أسنانها تستوقف النظر ·· وحينما وصلت الى المنصة وقفت تقول :

سيدى القاضي :

ثمانية عشر عاما ليس فيها لحظة واحدة تستحق الحياة ·· ثمانية عشر عاما من أجمل أيام عمرى التى لن تتكرر ، أراقها على أرض واقعه وعشرته السيئة ·· ثم ولى فى خسة يريد أن يشطب من حياته كل شيء يتعلق بى حتى أولاده ·· كان زواجى منه مأساة منذ البداية ·· حينما تقدم الى كنا ثلاث فتيات فى البيت ، ولم يكن فى وســع والدى أن يتحمل منى أن أرفض عريسا جديدا ·· كنت قد تعبت من الرفض ·· فقد كنت أريد فارسا لاحلامى له مواصـــفات معينة ·· غير أن هذه الشروط ظلت تنال منها التنـــازلات حتى أصبحت تتمثل فى رجل قادر على تحمل أعبـــاء بيت الزوجية ·· وكان هو ذلك الرجل ، ومن هنا يمكن أن أقول اننى لم أكن حرة فى الاختيار ، وان كان الشكل فى صورته

الظاهرة يبدو انه اختيار .. فقد كانت الضواغط الخفية الاجتماعية والاقتصادية تضغط علينا ضغوطا مستمرة لتجعلني فى النهاية أقاسمه فى معيشة زوجية هى فى حقيقتها اكراه على الحياة .. تغلفه غلالة رقيقة من الرضا أشبه ما تكون بالصبر على المكروه .. وكان ذلك الشعور يكبر فى أعماقى شيئا فشيئا .. تغذيه تصرفاته التى تنبع من غريزته الخبيثة التى طبع عليها من البيئة التى نشأ فيها .. فى كل لحظة كان يؤكد انه أذكى خلق الله وانه قادر على خداع كل الناس .. وان الدنيا فى نظره لعبة كبيرة والفائز فيها هو من ينخدع اكثر .. وكان حديثه هذا يجعلنى أتقزز منه وأشيح عنه بأعماقى ، واحتقر ذاتى كلما أحسست اننى مضطرة الى أن أعطيه نفسى ..

ولعل بداية هذا الشعور كان يوم أن خرجت معه لاول مرة ، وجلسنا فى أحد الكازينوهات ، وحينما جاء موعد دفع الحساب ، وخرجنا ، قال لى وهو يفاخر انه غالط الجرسون وانه ينتقم بذلك لكل الاغبياء الذين يسقطون فى براثن الجرسونات .. كانت الصدمة شديدة على ، حتى أنها هزت أعماقى ، ومع ذلك لم يتنبه .. فقد كان مشغولا بزهوه وانتصاره وبخاصة فى المغالطة .. وبعدها اكتشفت أن حياته كلها مغالطات من هذا النوع وأعمق .. وبكل أسف أنجبت منه ولدين ، وخلال ذلك كنت أعيش على أعصابى ، ولكنى كنت فى انتظار شىء لا أعرفه ،وأرجوه لخلاصى منه .. الى أن جاءنى ذات يوم ، وراح يقول لى انه قد رشح للسفر فى بعثة ، وان هذه البعثة سوف تنتهى بأن يعمل فى الخارج ، وانها فرصة لن تتاح له كل يوم، وأن على أن أقف بجانبه لكى يفوز بهذا الترشيح ، وفى استسلام مفروض طلبت أن يدلنى على أى عمل أقوم به فى

سبيل ذلك ٠٠ ولكنه لم يتكلم وتركني في حيرة بضعة أيام ، وكلما فاتحته في الموضوع تهرب ٠٠ الى أن أثارني ، وأخيرا قال أن الشرط الوحيد لهذه البعثة أن يكون صاحبها غير متزوج ، وانه يطلب مني أن أوافق على الطلاق ، وأن يكون هذا الطلاق صوريا ، فلا يعلم به أحد من أهلي أو من أهله ٠٠ كل مافي الامر هو أن يقدم اوراقه كاملة ويؤكد فيها انه غير متزوج ٠٠ فاذا ما انتهت فترة البعثة التدريبية ومدتها ستة أشهر عاد وردني الى عصمته ، وسافر بي الى الخارج ٠٠ ورغم كل ما أعرفه عنه ، فقد صدقته ٠٠وذهبت معه الى المأذون وطلقني ٠٠ واذا بي أكتشف ان كل ما قاله لي مجرد كذب ، وانه تخلص مني ومن نفقتي ٠٠ ولست أنكر ذلك ، ولكنني فقط أطالب بنفقة ولديه ، فقد نسيهما تماما ٠

وجلست السيدة التي أثارت الجميع بقصتها ، وجاء من بين الصفوف رجل في حوالي الخامسة والاربعين ٠٠ نحيف ٠٠ طويل ٠٠ قوي الشخصية واسع العينين ٠٠ أسود الشعر ٠٠ أنيق ٠٠ له أنف مدبب ٠٠ أبرز مافيه نظراته وذقنه ذو الفك العريض ، وعند المنصة وقف يقول :

سيدي القاضي :

الان ، وبعد أن أصرت هي على أن تتهمني بكل ما هو سيء ، وكل ما يحقرني في نظركم ٠٠ الان فقط أبيح لنفسي أن أقول مكونات أعماقي التي لم أقلها قبل الان ، والتي كنت أكتمها داخل جوانحي ٠٠ لست أنا الذي أجاهر بالذكاء وأدعيه ٠٠ فلو أنني كنت ذكيا ما ألقت بي هذه الشيطانة في الهوة التي أنا فيها الان ٠٠ انني ومنذ وقع ذلك الطلاق رهين حفرة من اليأس الاسود ٠٠ تضيق على

كل يوم حتى توشك أن تخنقنى فلقد احتالت على بعد أن اعتصرت حياتى وشبابى ، وخدعتنى خديعة لايمكن أن تجوز على طالب .. ولقد أعطيتها كل ما يمكن أن يعطيه الرجل لزوجته .. واستقبلت ما قدمته لى بكل أمان وطمأنينة .. فاذا بى فى النهاية ضحية غدر خسيس ، وخيانة لئيمة .. فلم يكن يخطر فى خيالى انها يمكن أن تلقى بحياة تقاسمناها هذه المدة الطويلة كما تلقى بعقب سيجارة من يدها ..

ان قصة البعثة التى كنت مرشحا لها قصة وهمية اخترعت خصيصا لخداعى أنا .. وكان ذلك بكل أسف من تدبيرها مع أحد رؤسائى فى العمل ، وهو الصديق الوحيد الذى كان يدخل بيتى ، ويجلس اليها ، وبعد أن اتفقا معا على كل شىء بعد جولة غرامية .. بلغ بهما الهوى مبلغا لم يكن يسمح لهما بالافتراق .. فاخترعا هذه القصة .. فى أول الامر أقنعنى هذا المدير بأنه اختارلى لهذه البعثة ، وانه حصل على موافقة الوزير على اسمى وانه زعم للوزير اننى غير متزوج ، وان فى وسعى أن أتدبر الامر مع زوجتى ولم يكن أمامى الا أن أشاورها فى الامر ، فقبلت وتحمست وأبدت من ضروب الشجاعة ما جعلنى أنظر اليها نظرة اكبار .. وراحت تستحثنى كل يوم على الطلاق ، ولكننى كنت اريد أن أتأكد من جدية هذه البعثة .. الى أن كان يوم اتصل فيه هذا المدير أمامى بمسئول وحدثه وجاءتنى بعض الاوراق التى وقعتها وقلت فيها اننى لست متزوجا ، وأصبح على أن أطلق ولا اعتبر ذلك تزويرا فى أوراق رسمية ، وحاولت أن يكون الطلاق هو اخر خطوة افعلها قبل سفرى بأيام .. الا ان اللعين وهى دفعا بى الى مكتب المأذون وطلقت وأعفتنى هى من المؤخر ونفقة العام ، ورغم اننا اتفقنا على ان يكون الطلاق صوريا فانها عاملتنى

بجفاء منذ ليلة الطلاق ٠٠ ولم يحـــدث بعد ذلك ما كان منتظرا من سفرى الى الخارج أو الداخل ٠٠ الذى حـدث هو انها بمجرد استلامها وثيقة الطلاق ٠٠استغاثت بالشرطة لكى تمنعنى من دخول المنزل فمنعت ٠٠ طردتنى فطردت وبعد انتهاء العدة تزوجت من هذا المدير ٠٠ وهى الان فى عصمته ، وبعد كل هذا تريد أن تحصـــل منى على نفقة للطفلـين ٠٠ أنا لم أرفض ولكنى فقـط أريدها فى حدود المعقول وقد رفضت كل تفاهم سلمى وأصرت على أن تلجأ الى المحكمة لكى تزيد من عذابى ٠

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء في حيثياته :

ومن حيث ان المدعى عليه قد تزوج المدعية بعقد صحيح مؤرخ بتاريخ ٠٠ وعاشرها معاشرة زوجية كان نتيجتهـــا ولدين هما ٠٠ و ٠٠ وقام بطلاقها بتاريخ ، وتركهمـا بلا نفقة رغم قدرته على الانفاق ، لذلك فان المحكمـــة تحكـم للولدين بنفقة شـــهرية قدرها ٠٠٠ وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ٠

الماضي ليس سيئاً

صاحبة القضية في نحو الخامسة والعشرين ، فياضة الانوثة ، خمرية في عود الغصن المعتدل ، باسمة كومضة الاشراق في الصباح ، ولصوتها رنة الوتر الواحد ، وفي لفتاتها وحركاتها أنوثة علاها الصدأ وجمدها الاهمال ،وقد اتجهت الى المنصة لتقول :

سيدي القاضي :

ان ما يربطني بالحزن أقدم من عمري بكثير .. وفي كل مرة أحاول أن أتذكر فيها تاريخي مع الالام أفشل في الوصول الى بداية فقد ورثت مع ملامحي من والدتي ثروة ضخمة من الاحزان !

كان بيتنا بلا ابتسامة .. لم تكن والدتي أبدا على وفاق مع والدي ، الشقاق هو الذي يحكم البيت .. حياة ثقيلة كالزيت تتدحرج أيامها في بئر العدم .. وأنا أعمل في وظيفة تافهة مملة الحقني بها قريب لوالدتي بعد فشلي في الحصول على التوجيهية ، وتتحول جدران البيت الى قضبان من جديد أعيش خلفها الساعات الطويلة حتى أعود من جديد الى العمل .

وخلال هذه الحياة الراكدة البـاردة تقدم الى ، كانت أعصـابي قد تلفت من صراخ والدتي ، ومعارك والدي ، وقبلت عرضه دون فحص ظروفه الاجتماعية والاقتصادية،

ورغم انه كان يقف على مشارف الاربعين ولم أكن قد تجاوزت العشرين يومها ، فانني قبلته باعتبـــاره ســـبيل الخلاص الوحيد في ذلك البيت المظلم الذي أعيش فيه ، والذي كان سببا في فشل زيجتي الاولى ..

كل ما عرفته عن ظروفه انه تأخر في الزواج لظـروف اجتماعية .. فلما زالت هذه الظروف بزواج بعض اخوته ، وبقى بعضهم الآخر الذي يمكن أن يوفق بين الانفاق عليهم وعلى البيت الجديد الذي يريد اقامته ، تقدم لي ،ولم أناقش كثيرا هذه النقطة رغم أهميتها فقد أحاطني بجو من العاطفة لم أكن قد ألفته ، وأغرقني في محيـط من الحب والثقـة والحنان ، وكلها أشياء جديدة بالنسبة لي .

رويت له مأساتي الاولى ، وقلت له أن زواجي الاول لم يستمر أكثر من شهر واحد ثم عصفت به العواصيف فدمرته وأن شيئا يجعلني لا أثق بالرجال ، الا اذا استطاع هو أن يبدد هذه الشكوك ، وأن يزرع في ضميري الثقة بالرجال والحياة !

وبدأنا نستعد لاستقبال حياتنا الجـديدة ، لم أحاول ارهاقه في أمر من الامور ، تركته يؤثث البيت كما يريد، وانتقلنا الى هناك وفي قلبي شحنة كبيرة من الامنيات أنوى تحقيقها ، وفي خيـــالي صورة للبيت السعيد المثالي أريد تحقيقها بعد أن حرمتني منها الظـــروف ، كنت مصرة على النجاح في هذه الزيجة مهما كان الثمن ،ويكفيني ماتجرعته من فشل في المرة الاولى ، وعلى هـذا كان يمكن أن ينجح زواجنا بأقل مجهود من جانبه ولكن لم يحاول حتى المجهود البسيط !

لم يمض علينا اكثر من خمسة عشر يوما بعـد الزواج حتى جاءت شقيقة له فشلت في زواجها لتقيم معنا بعد أن

طلقها زوجها .. وكان الموقف غاية في الدقة ، مزدحما بالمشاعر المؤلمة أحيانا والطيبة أحيانا أخرى ، وأحسست بالشقة تضيق ، والارض في كل الظروف تنبت فيها الاشواك والهواء الذى يدخل من النوافذ قد خالطه شيء يخنق الانفاس .. !

جاءت هذه المطلقة لكي تعوض ما فقدته على حسابي ، اذا خرجنا في نزهة فلابد أن تتعلق بذراعه ، واذا جاء الى البيت فلابد أن تخف لاستقباله وتخلع عنه ملابسه واذا جلس في البيت فلابد أن تحيطه بشكل مقزز يجعلني أسحب نفسي من معركة فرضت على بلا مبررات .. حتى اذا دخلنا غرفة النوم فلابد أن تطرقها المرة بعد الاخرى لان الامراض كلها لا تهاجمها الا ليلا .. وكأنها أخذت على عاتقها تعذيبى .. والخجل من الشكوى يمنعني والحياء من مفاتحته في الموضوع يمسك بى ، وكبريائى كزوجة يقف بى عند سور حقوقى التى تنتهك وأنا مفتتة الاعصاب ضائعة الصواب !

ولم يكن في وسعي أن أطلب منه اقصاء شقيقته ، ولم تكن أعصابي تحتمل ما ترتكبه من حماقات بعضها عن قصد وبعضها الاخر من غير قصد وأطلقت العنان لالامي أمام والدتي التي كانت تنصحني بالصبر ، والتروى ومع الايام كان صبرى يتآكل بقدر ما كانت الازمة تكبر ، وكأن كل ذلك لم يكفها فراحت تمشى بالوشاية بيني وبين شقيقها لتوغر صدره ضدى .. ثم راحت تعبث في حاجاتي وفوجئت بالاتى ..

كنا قد أخفينا قصة زواجي الاول عن أقاربه احتراما لذاتينا ، وكنت احتفظ في ركن من دولابي بخطاباتي وصورى مع زوجي الاول ، واذا بالشقيقة تحمل كل هذا من ورائي الى شقيقها وكأنها وجدت المسمار الاخير الذى

تدقه في نعشي لكي تطردني من البيت، وشرحت له الحقيقة وافهمته أن هذه الخطـــابات والصـــور ليس من السهل اسقاطها من حياتي ·· وحتي اذا مزقتها وأحرقتها فأنها لن تسقط من ذاكرتي ، وبدأ الخلاف ·· عدها هو مســـألة كرامة ، وكانت هي تغذى فيه ذلك الشعور ، واعتبرتها أنا مسألة خاصة تتعلق بماض لا تملكه ، ويجب الا نخشاه ·

ومع كل يوم كان يولد خلاف جديد يحول حياتنا الى صراع وفوجئت به ذات يوم يطلب مني بعد أن وضـــعت طفلتي أن أجمع ملابسي ، وأن أذهب الى بيت والدى لانه لم يعد في وسعه أن يعاشرني ، وظننته في أول الامر لا يقصـــد حرفيا ما يقول ،واذا به يصر على اقتراحه هذا !!وجن جنوني وحاولت أن أثير عطفه من أجل الطفلة ، ولكنه كان قد نسى انه أب وانه زوج لان شقيقته خطبت له عروسا جديدة ··

وعدت الى بيت والدى حيث لحقتني ورقة الطلاق ! وكان ذلك قبل العيد بأيام ، ولم يحاول حتى أن يتذكر في العيد أن له طفلة قد تفكر أو تســـأل لماذا لم تر والدها في يوم العيد !

وجلست الحسناء الشابة ، وجاء من اخر الصفوف رجل طويل ، نحيف بعض الشيء ، مصفف الشعر ، مهذب المنظر حليق الشارب في عينيه ذكاء ملحوظ وفي ملامحه رجـولة وسيمة ، وعند المنصة وقف يقول :

سيدى القاضي :

الذى يحيرني هو من أين أبدأ ؟؟ فقد اتهمتني والصقت بي من التهم ما لا يمكن أن يوجد في انســـان عاقل أو على الاقل انسان متدين عليه أن يعمل وأن يكسب وان يتعامل مع البشر ·· صورتني في صورة « خيـــال المآتة » الذى

يسير خلف شقيقته معصوب العينين ، ويصـــدق وينفذ ما تمليه عليه هذه الشقيقة ، ولست أدرى كيف تزوجتنى وأنا على هذه الصورة التى لا يمكن أن تختفى أو تغيب عن ذكائها الخـــارق ، الذى تدعيه .. ذلك الذكاء الذى دمر حياتنا أو حياتى على الاقل ، وجعلنى وأنا فى جحيم شهر العسل أتضرع الى الله أن ينقذنى من الهوة التى ترديت فيها ..

وعندما حدث لقاؤنا الاول وضعت بين يدى مأســاتها كشابة حالفها سوء الحظ فى زيجتها الاولى لظروف خارجة عن ارادتها ، اذ كان من أقاربها ، ولما كان والدها سيىء السير غريب التصرفات فان العريس قد أثر الفرار هربا من الالتحام بوالدها ، وانها لا تتمنى أكثر من أن تجد زوجا يقدر مأساتها ويعيد اليها ثقتها حتى يمكنها أن تعيش حلم البيت السعيد الذى حرمت منه .

وكأى رجل بلغ الاربعين دون أن يتزوج كانت تداعبنى أحلام البيت السعيد الذى تضيئه زوجة واعية راضـــية تنتظرنى فى لهفة ، وتحول البيت الى جنـة بابتســـاماتها وضحكاتها ، وقال لى الذين عرفوها فى العمل انها عصبية غبية التفكير شاذة التصرفات .. وقالت لى هى بنفسها ان الصدمة الاولى قد أورثتها مرضا عصبيا يجعلهـــا تنطرح أرضا وتفقد وعيها ، وقال لى والدها بنفسه انه من الصعب ان أروضها لانها عنيدة ، ورغم كل ذلك فقد كانت موجة من الحماقة الانسانية تدفعنى الى الارتباط بها لكى أحقق لها أحلامها ، على أساس اننى لا أتزوج فقط وانما أحقق عملا انسانيا رائعا ، وتغاضيت عن كل المقدمات التى كنت أراها .. ذات يوم احتدت على والدتها وهى تناقشها وفجأة هجمت عليها وطرحتها أرضا ، ولولا اننى دفعتها عنها لقضت عليها

وهذه الواقعة كان يمكن أن تجعلني أهرب بجلدى ، ولكنها راحت تبكي وتعلل ذلك بأعصـــابها المريضـــة ، وعشرات الوقائع الاخرى التي لا تقل عن تلك فظاعة وكانت تعتذر وكنت أقبل الاعتذار ! ..

وانتقلت الى بيتي ، وحذرتني أن يفلت لساني أمام أهلي حتى لا يعرف أحد انها كانت زوجة فاشـــلة قبل ذلك ، وحاولت أن أوضح لها أن هذا ليس عيبا ، ولكنهـــا ثارت وقالت ان ذلك يسقطها من عيون أقاربي ، ووافقتها .. ثم حدث أن اعتدت على احدى زميلاتهـــا في الشركة بالضرب فطردت من العمل ، واضطرتني الى الكذب ثانية ، لإشيع انها استقالت ولم تطرد وقد بدأت متـــاعبي الحقيقية منذ طردت من عملها ..

فلا أكاد أخرج من البيت الى العمـــل حتى تطلبني في التليفون لتقول لى انها تحدثني من الشـــارع وانهـــا في طريقها الى بيت أمها وان علي أن أحضر الى هناك ، ولا جدال في التليفون طبعا واضطر الى الذهاب اليها ، وأرجوها أن تقول لى ذلك قبل خروجي ، واننا يمكننا أن ننظم حـكاية الزيارة لوالدتها ، ولكن الويل لى فالجـــواب الوحيد هو الاغماء والعصبية وقذف بالاوصاف التي يجب الا تقال هنا ، وكان ذلك في الشهر الاول ، وتأكدت انني كنت غبيـــا ضللتني عواطفي ، وخدعتني انسانيتي فحملت الحية التي يقتلها البرد لكي أدفئها في أحضاني ، فكنت أول من تلدغه ناصبتني العداء فعلا فكانت تتلمس لى الاخطاء ، حدث أن جلست الى الغداء فقلت لها ان « الملوخية » ينقصها بعض الملح فهل تدرون ماذا حدث بعد ان نطقت الحرف الاخير من عبارتي ؟ حملت الطعام من أمامي وذهبت به الى المطبخ في

هدوء وألقت به في دورة المياه وأنا أشهد كل ذلك في ذهول ثم طلبت مني أن أشترى الطعام الذى يعجبنى ٠

لست مبالغا فيما أقوله ولها أن تكذبنى اذا كان ذلك لم يصدر منها ٠٠ وعلى هذا النمط من الخلافات مضت حياتنا الى أن وقعت الطامة ٠٠ جاءها المخاض ، ونقلتها الى مستشفى الولادة وهناك وضعت الطفلة ، واذا بوالدتها ووالدها يحولان غرفة المستشفى الى مطبخ ، واشتبك الوالد المحترم مع ممرضات المستشفى وهاج فيهن شمالا ويمينا بألفاظ تخدش الحياء ، فاستغاثت ادارة المستشفى بشرطة النجدة وكانت فضيحة لم أستطع بعدها مقابلة أى مسئول هناك ودفعت الفاتورة وهربت ، وقد قررت بعدها أن أطلقها ٠٠

لقد قالت لى انها تنتقم منى وانها تصب نقمتها على الرجال ، وان فشلها الاول كان مرجعه انها كانت طيبة لا تعرف كيف تعامل الرجال المعاملة التى يجب أن يعاملوا بها ، وقد عاملتنى بما استحقه فى نظرها ٠

أما ما تدعيه كذبا من أننى لم أنفق على طفلتى ، فان ما تحت يدى من ايصالات يكذبها ٠٠ وفى ملف الدعوى تجدون عشرات الايصالات التى توقعها شهريا باستلام المبلغ الذى ارتضته نفقة للصغيرة ٠٠

المحكمة :

وجلس الرجل الذى كانت تعتصره أزمة نفسية ترتسم ملامحها فى قسوة فوق وجهه ، وصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته ٠٠

ومن حيث أن المدعية قد تزوجت من المدعى عليه بعقد صحيح ، وأنجبت نتيجة للمعاشرة الزوجية طفلة ، تلزم المدعى عليه بالانفاق والنفقة ، وحيث ان المدعى قد طلقها ، ورفض مراجعتها رغم الحاح المدعية ولما كان المطلق مقتدرا بمقتضى المستندات الدالة على ذلك والتى لم يطعن فى صحتها لهذا تقضى المحكمة بنفقة للمطلقة وللطفلة قدرها .. وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ..

أيام الشقاوة

صاحبة القضية اجتازت الخامسة والثلاثين ، متينة البناء واضحة التفاصيل تملأ ملامح وجهها أنوثة رائعة ، وتحيط بوجهها خصلات شعرها الاصفر ، ويكشف فستانها عن ذراعها ، وعندما سارت الى المنصة كانت تمشي كأنها تختال بقوامها الرشيق ووقفت تقول :

سيدي القاضي :

هل يمكن أن تقف الشريعة الى جانب ذلك الرجل الذى أضاع أيامي ، وأذل شبابي وجعل حصاد أيامي أحزانا وآلاما .. ؟

لقد اقتحم حياتي اقتحاما قطع به ماضي عن مستقبلي ، كنت قد هجرت المدارس الخاصة الاجنبية التى كنت أدرس بها بعد وفاة والدى الذى كان من تجار الاسكندرية ، ولكنه لم يترك لنا شيئا ووجدت نفسى محاصرة بوالدتي وشقيقي الاصغر ، ومطالب بيت يجب أن يبقى ، وأن تواصل الحياة رغم انعدام امكانيات الحياة وتوسط لى أحد المعارف فى الالتحاق كعاملة فى أحد المحلات الكبيرة وساعدتنى اللغة التى أتقنها فى الحصول على مركز طيب بعد شهور من التحاقي بالعمل .

وذات يوم رأيته يتقدم الى ليشكو احدى العاملات التى أساءت معاملته أثناء طلبه منها بعض المبيعات ، وتلقيته

كعميل غاضب يجب أن أرضيه ، وتلطفت معه كما تقضى وظيفتى ، وترفقت معه الى أبعد الحدود ، ولكنه كان ثقيلا ومع ذلك فقد كانت مهمتى تشبه الى حد كبير مهمة الممرضة وأخيرا نجحت فى اعادة الابتسامة الى شفتيه وخرج من المحل ، وهو يتحدث شاكرا ومعجبا بسعة صدرى ،وقدرتى على معاملته معترفا بأننى أول انسان ينجح فى هذه المهمة .

وفوجئت به يرسل لى هدية الى البيت ، وأعترف انه حصل على العنوان بطرقه الخاصة ، ثم جاء يزورنى ليقول لوالدتى انه يريد أن يخطبنى اذا وافقت أنا على ذلك ..

ولم يكن الموقف بالنسبة لى سهلا .. كان قد اجتاز الحلقة الرابعة ، وأحسست ان له زوجة أخرى لابد أن يكون قد أنجب منها وخلال المهلة التى طلبت منه أن يمنحنى اياها للتفكير ، اعترف لى انه يملك واخوته مضربا للارز ، وانه يملك عددا طيبا من الافدنة الى جانب أعماله الاخرى ، وانه صاحب شقة خاصة به فى الاسكندرية ، وانه بالفعل له زوجة وأولاد ، ولكنه يريد أن يتزوج هذه المرة بكل ارادته . فقد تزوج قريبته التى هى أم أولاده بالطريقة التقليدية ، وفرضتها عليه والدته لانها ابنة خاله ..

قال لى هذا الكلام يومها وعيناه تغرورقان بالدموع ،ومال على يدى يقبلها ويرجونى أن أقبله كما هو لانه يريد أن يحقق لنفسه أمنية واحدة قبل أن يموت وكان لطيفا ومؤثرا والحب يصهر رجولته ويحولها الى دموع ، ولم أكن متعلقة بأحد ، ودرست الموقف من أكثر من زاوية ، وقررت أن أقبله زوجا .. !

وكان طبيعيا أن يطلب منى الاستقالة ، وكان كل شرطى عليه هو أن يدفع لى نصف المرتب فقط حتى أقدمه الى والدتى

وشقيقي الذي كان على وشك الحصول على شهادته المتوسطة وتم زفافنا ٠٠ !

ولم يكن يتغيب اكثر من ليلة أو ليلتين وانجبت منه هذه الفتاة ، وشعرت في العام التالى أن الاهمال بدأ يسـود معاملاته لى ، والاضطراب بدأ يدخل حياته ، واعترف لى أن زوجته شعرت انه يخفى عنها أمرا ، وان كانت لم تعرف بعد حقيقة الامر ، ورجاني في أن يطيل فترات غيابه ، والا أقلق عليه ٠٠ !

وأحسست بالخطر ، وظل الملل حياتنا ، كانت الساعات التي يجيء فيها الى يعيشها في قلق وبأعصـاب مطحونة ، وحتى اذا نام قام في الليل ثائرا هائجا أكثر من مرة ،وفى منتصف العام الثالث غاب أكثر من شهر ثم عـاد ، وكان واضحا انه هزم أمام اخوته وأقاربه وعرفت المرارة التى كان يرجونى بها أن أقبـل الطلاق على أن يدفع لى مؤخر الصداق ، وان يرتب نفقة للطفلة شهريا ، واشفقت عليه رغم ان موقفى كان يستحق الرثاء ، وطويت جنـاحى على جروحى ، وقبلت واستطعت أن أعود الى عمل يماثل عملى القديم ونذرت حياتى للطفلة التى لم ينفذ اتفـاقه معى من أجلها أكثر من عام واحد ثم نسى كل شيء ، ورغم ذلك فلم احاول أن أجره الى ساحة القضاء واليوم بعد أن اصـبح عمرها ستـة عشر عاما تذكر الان فقط أن له ابنـة ، وانه يريدها ، الا يكفى انني ضحيت بشـبابى من أجلها ولم أتزوج حتى الان ؟؟ وهل يمكن أن تقف الشريعة فى صفه حتى لو كان لا يريد بهذا الضم سوى التنكيل بى ٠٠ ؟

وجلست السيدة الجميلة التى أثارت الجميع بقصتها ، وتقدم من الصفوف رجل في سنواته الاولى بعد الخمسين

٠٠ ممتلىء الجسم ، طويل عريض المنكبين ، وخط الشيب فوديه ، شديد الاناقة بطريقة تنم عن ثرائه وتقـــدم الى المنصة ليقول :

سيدى القاضى :

ما لهذه السيدة تفتح نافذة كبيرة على الماضى ؟ ان القضية التى تنظرونها قضية أب شقى تعس ادخرت له أيامه ابنة شابة عليه أن يرعاها ٠٠ تنتمى اليه وتحمل اسمه طوعا أو كرها ٠٠ واذا كانت هذه السيدة تريد أن تغالط وأن تزيف الحقائق فان ذلك لم يعد يجدى نفعا ٠٠ !

كان لقائى بها وزواجى منها قدرا لا مهرب منه ، فقد ارتبطت بها فى فترة من فترات ضعفى أمام نزواتى ، وكان الحصار يضيق على كل يوم دون بارقة أمل فى الحصـــول على حريتى منها ، واعترف صادقا انه حتى لو كانت لاحت هذه البارقة ما انتهزتها فقد كنت راضيا بهذا الاسر سعيدا بالقيود التى فرضتها على ٠٠ !

ان ما استنزفته من أموالى لا داعى لذكره الان ، ويكفى أن أقول لعدالتكم ان ما أنفقته عليها خلال السنوات الثلاث يزيد على « ربع مليون جنيه » وكنت أرجو أن أجد لديهـــا ما لم أجده فى بيتى الاول، فاذا بى اكتشف اننى كنت واهما مخدوعا الى حد كبير ، وان مجرد تحويلها الى زوجة وأم قد جعلها ترتكب من الاعمال ما هو أقبح بكثير مما تفعله زوجتى الاولى ٠٠ وكان على أن أعود من منتصف الطريق الخطأ بدلا من المضى فيه الى اخره وعوضتها عن الطلاق دفعت لها مؤخر صداق ولم انقطع عن الصرف على ابنتى كمـــا تدعى ، وفى ملف الدعوى تجدون ايصالات مصروفات المدرسة الخاصة التى تتعلم بها ٠٠ !

والذى أريدها أن تعترف به الان هو كيف تعيش الان ؟
لقد تركت العمل منذ خمس سنوات ، وأرسلت ابنتى الى المدرسة الداخلية لكى أتكبد مبالغ أكثر ·· انها ليست عملية انتقامية فقط ، ولكنها عملية ذات جانب اخر حساس وحاد ·· !
لجأت الى التكسب من تأجير بعض غرف الشقة الكبيرة التى كنت قد استأجرتها لها فى الماضى ، وهى تؤجرها صيفا وشتاء ولست أريد بذلك أن أطعن أو أهين هذا العمل الكريم ، ولكن هذه السيدة بالذات أهانت هذا العمل الانسانى فى صميمه بما كانت تحاوله أو تفرضه على من يسكنون أو يؤجرون عندها ، ومن هنا كان عليها أن تتخلص من الفتاة بشكل أو باخر ، والا فلماذا تدفع الام بابنتها وهى فوق العاشرة بقليل الى مدارس داخلية بينما كانت تحتفظ بها وهى صغيرة ، لا أعتقد أن ذكاء المحكمة فى حاجة الى شرح هذا التصرف ·· !
ولكن ذلك لا يمكن أن يحمى ابنتى من وجودها أثناء الاجازات لا سيما العطلة الصيفية من أن تقع عيناها على مشاهد لا أحب أبدا كرجل ريفى أن تراها فتاتى التى تجتاز أن تدخل مرحلة المراهقة ·· !
سيدى ·· القاضى ليس هذا تجريحا لكى أفوز بحضانة ابنتى ، ولكنه الواقع الصحيح الثابت بشهادة الشهود ، والمستندات التي تجدونها فى ملف الدعوى ، واننى لست حاقدا عليها ، ولا ناقما فهى انما تدافع عن طيب من دخلها كانت تحصل عليه منى الى جانب مصروفات الفتاة ، ولكن وهذا ما أرجوها أن تدركه اننى لا أريد التخلص من هذا المبلغ ، واننى كريفى يحرص على أن تكون مسئوليته تجاه بناته كاملة أطلب ضمها الى ·· !

المحاكمة :

وجلس الرجل الريفي الضخم الجثة ، وصدر الحكم الذي جاء في حيثياته :

وحيث أن البنت محل النزاع اجتازت سن الضم ، ولم يعد للوالدة الحق في حضانتها ، ولما كانت مصلحة البنت البالغة في أن تعود الى حظيرة والدها لكي يرعى شئونها بما يلقيه أولاده ، وقد أبدى استعداده الطيب لهذا الغرض وترى المحكمة أن الوالدة لا تسمح ظروفها المعيشية بتنشئة هذه الفتاة النشأة التي يرضاها والدها لا سيما وان طرقا تكسبها غامضة لا تقنع المحكمة ، لهذا تحكم المحكمة بوجوب ضم البنت محل النزاع الى والدها ، وبعدم تعرض الوالدة للاب المحكوم له في أي شأن من شئون الفتاة والزام الوالدة بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

مرارة الندم

صاحبة القضية فى الخامسة والثـلاثين •• أجنبيـة الاصل •• مصرية المولد •• تحمل وجه طفلة وجسد إمرأة •• مضيئة البشرة •• يشد العين عنقها المرمرى•• ووجهها الذى يجعله الشعر الإصفر الغزير مستديرا مرة • مستطيلا مرة أخرى •• أنوثتها تملأ ملامحها •• وتتركز فى عينيها الخضراوين •• وينتصب أنفها فى دقة متناهية •• وحينما سارت نحو المنصة وقفت تقول :

سيدي القاضي :

وهبته عمري يأخذ منه ويضيف الى أيامه •• ومنحته روحى أصبها فى كأسه •• وأرمقه فى نشـوة وهو يشربها قطرة بعد قطرة •• وأعطيته نفسي يبذلها يددا كما يريد •• لا أسأله حسابا عليها •• فقد وليته أمرى •• وملكته قلبى وحكمته فى مشاعري •• ولكنه أضـلني بغدره •• وأذلني بهجره •• وحول أجفاني سعيرا •• وهى تسكنها •• لا تهبط ولا ترجع •• !

كنا نعمل معا فى احدى المؤسسات •• وكان دونى فى الوظيفة والمكانة الاجتماعية •• الا انه أحاطني بحنان كنت أفتقده •• اعطانى دفء الاخوة الذي لم يكتب لى أن أتذوقه •• فقد أحسست بعد وفاة والدى أننى أعيش ووالدتي فى جزيرة من الجفاف •• وتعلقت به كغريق يتشبث بزورق

النجاة .. وحينما عرض على الزواج .. كانت معركتى بين عقلى وعواطفى .. انه يكاد يكون الاخير فى أسرة تمزقت وتفرقت بين المهجر ولبنان وأوربا .. وأسرتى وان كانت استوطنت مصر منذ أكثر من نصف قرن .. الا انني ارتبطت بها فقد غدت وطني الذى أحسه نفسى تمليه .. وكنت اخشى أن يفكر ذات يوم فى اللحاق بأهله .. وكان ذلك فقط هو سر ترددى .. ولكنه أفلح فى أن يجعلنى أصدقه ؛ وأقنعنى بأنه قرر التوطن الى الابد فى القاهرة .. وتزوجته .. ولم يكن كل شىء سهلا .. عقبات كثيرة كان علينا أن نتخطاها أنفقت كل ما كنت أدخره من حنان ومال .. لكى أصنع له بيتا .. يلقى فيه الراحة والحب والاسرة التى يحن اليها .. وحتى استوثق من اقامته الدائمة معى .. قررت أن أسرع بالانجاب منه .. وكان المولود ولدا .. ويوم أن تحول الى أب كانت فرحته أكبر من أن تسعها الارض التى نعيش عليها .. وأحسست أن هذا الطفل هو الذى منحته لى السماء ليكون امتدادا لوالدى وتعويضا عن أشقائى .. وكل ما يربطنى ويحببنى فى الحياة ..

وتوالت الاحداث .. وبدأ الطفل يكبر .. وراح الزوج يردد نغمة الهجرة من البلاد .. لم يعد هدفه انه يعيش من أجل هذا الطفل .. أصبح هدفه أن يهاجر ، وأن يحاول الاثراء فى المهجر الجديد .. وحينما بدأت أهدافنا تختلف .. دخل الشقاق حياتنا .. ورغم المرارة التى كنا نقتاتها يوميا مع كل وجبة .. فان الطفل لم يتوقف عن النمو . ولم تكف الحياة عن الاستمرار .. كان موقفنا بأننى لا أحب طفلى كأى أم .. ولكنى أحبه بكل حرمانى الذى عانيته وأعانيه .. ومن أجل هذا عرض على أن نفترق فى هدوء

وان يكون ثمن تنازلى عن كل مستحقاتي مقابل ٠٠ هو أن يترك لى طفلى ٠٠ وقبلت ما عرضه فقد أصر على أن يهاجر ، وفشلت كل المساعى التى بذلتها فى اقنــاعه ٠٠ وانتهى الامر كله ٠٠ كان ذلك منذ خمس سنوات ، ولم يكن ابنى قد اجتاز العاشرة ٠٠ وسافر هو الى البرازيل ، وطوال هذه الفترة لم يحدث أن أرسل اليه هدية بملاليم فى عيـد من أعياد ميلاده ٠٠ ولكنه جاء اليوم يطلبه ٠٠ متناسيا اتفاقنا ٠٠ ومتجاهلا انه تزوج هناك وقد يكون رزق بأولاد غيره ٠ أما أنا فليس لى من تأمين لمستقبلى أو شيخوختى غير هـذا الابن الذى ارتضيته نصيبا لى من الحياة ٠٠ !

وجلست السيدة التى أثارت الجميع بقصتها ، وجاء من اخر الصفوف رجل فى حوالى الخامسة والاربعين ٠٠ نحيف ٠٠ أبيض شـعره على جانبى راسـه ٠٠ أبيض طويل ٠٠ شديد الاناقة ٠٠ على عينيه نظارة غير طبية لكنهـا غالية الثمن ٠٠ تنبىء ملابسه عن يسار كبير يعيش فيه ٠٠ومشى فى خطوات بطيئة الى المنصة ليقول :

سيدى القاضى :

كان فى استطاعتى أن أتجاهل كل ما قالته هذه السيدة ٠٠ لولا اننى أخشى أن يصـدق ابنى هذه الادعاءات التى ترددها ٠٠ وهكذا يحمل لى فى ذهنه صورة سيئة غير مطابقة للواقع ٠٠ تقف بينى وبينه حائلا فى مستقبل الايام ٠٠

لست أفاقا متشردا هوايتى أن أهيم على وجهى فى بلاد الله ، وأتزوج فى كل بلد زوجة أجنى عليها ثم أهرب باحثا عن ضحية أخرى ٠٠ هكذا تريد أن تصـورنى لكم ٠٠ واسمحوا لى أن أوضح الحقيقة ٠٠ وهى أننى أكرهت على هذه الهجرة اكراها بفضل المتاعب التى كانت تصـبها على

رأسي كل يوم ·· لم يكن أمامي فرصة تخلصني من براثنها سوى الهجرة ·· زوجة جنت أو هي مجنونة من قبل ·· وفي سبيل ذلك تعذبني وتعذب نفسها ·· كانت أحيانا تظل طول الليل ساهرة لتراقبني ·· أقسم لها ·· وأؤكد لها ·· أن شيئا من ذلك لن يحدث ·· ولكنها لا تصدق أبلغت عني الشرطة أكثر من مرة ·· أخذته وهو في السادسة لكي أشترى له بعض الملابس هدية لعيد ميلاده ·· وتأخرنا خارج الدار ·· فما كان منها الا أن أبلغت الشرطة بأنني اختفيت بالطفل ·· في نفس الوقت الذي كنا نعيش معا فيه ·· وكان عذرها الوحيد انني قد أكون جهزت كل شيء ثم ركبت الطائرة مع الطفل ·· كيف رسخت في ذهنها هذه الفكرة ؟ ·· رسخت لان معظم أهلي في الخارج ·· هذا صحيح ·· وكان يمكن أن أعيش في القاهرة الى الابد ·· الا ان جنونها هو الدافع الاول والاخير ·· فرغم ما تدره أعمالي من أرباح في المهجر ·· فانني كثيرا ما أشعر بأن ذلك لا يساوي قضاء ليلة واحدة بعيدا عن أرض الوطن وكلما اجتاحني هذا الشعور دعوت عليها لانها هي التي كانت السبب ·· !

وقد كان اتفاقي معها على أن أترك لها الطفل الى أن يجتاز سن الضم ·· وليس من المعقول أن أترك لها ابني هنا ·· لانني أريد أن أوفر له كل امكانيات التعليم التي تكفل له أن يدرس في أرقى الجامعات ·· وأما ماتدعيه من انني تزوجت ، فقد علمت انها هي الاخرى تبحث الان عن زوج ، ولست أحب لابني أن يعرف أبا غيري ·· ثم انه لم يعد طفلا ·· فهو الان في الخامسة عشرة من عمره ·· وليس من حقها أن تحتضنه حتى هذه السن ·· !

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث أن الام وهى تعيش فى القـــاهرة ‥ قد وقفت نفسها على هذا الغلام ‥ بما قد يضرها به فراقه ‥ ولما كانت الشريعة السمحاء تحتم ان يكون الابن مع والده فى مكان يسهل على الام رؤيته بحيث لا يستغرق ذهابها اليه والعودة سوى نهار بلا ليل ‥ ولما كان الاب يريد الابن يعيش فى المهجر ‥ ولما كانت الام على استعداد لان تكفل للغلام كل ما من شأنه أن يمكنه من استكماله تعليمه ‥ لهذا كله ترى المحكمه رفض الدعوى المقامة من المدعى لضم الابن ، والزامه بالمصروفات وأتعاب المحاماة .

رجل تحت الصفر

المحكمة محكمة القاهرة،والدائرة دائرة الاحوال الشخصية للمسلمين •• وصاحبة القضية لم تتجاوز الثلاثين •• فارعة الجسد •• رائعة التكوين •• فى كل منطقة من جسدها يمتزج البياض بالاحمرار كوهج ينعكس على صفحة فضية •• لوزية العينين عميقة النظرات الصارخة بالانوثة •• هادئة الانف رغم ثورة ملامحها •• يبدو فمها الرقيق الشفتين كنبع فياض للجاذبية •• ويحيط بوجهها المستدير شعرها الاسود أكليل تقتحمه فجوة مضيئة ••

وحينما نودى على قضيتها خرجت تتهادى فى مشيتها نحو المنصة لتقول :

سيدى القاضى :

اننى مذنبة •• غير أن الشعور بالذنب لا يرهق ذاتى •• فأنا على يقين بأن ممارسة بعض نقاط الضعف التى تملأنا لذة واستمتاعا على سوء نتائجها خير من كبتها •• ولئن تقتلنى الرغبات ممارسة وانطلاقا •• خير من أن تسلمنى كبتا واحباطا الى صراع لا موت فيه ولا حياة •• ومن هذا المنطق كانت بدايتنا معا •• كان طبيبا وكنت حكيمة •• كان خطيرا ، ولم أكن بجانبه شيئا •• الا اننى كنت ، وكان يشعر هو بذلك •• اننى دائما أفضله بأشياء أخرى •• الامانة •• العفة •• الجرأة •• الصدق الصراحة

وكان يخشى أن يبدى تلميـــذته على يدى أمام الاخـرين فيستعيض عن ذلك بصلف وعنف يصطنعهما فى معاملتى حتى لا يفطن الجميع الى ضعفه ولعل اعجـــابه بى بدأ منذ اللحظة الاولى التى جردته فيها من الثوب الذى كان يتدثر به .. ظانا أن أحدا لا يعرف سره .. وانتهزت فرصة عدم وجود مخلوق فى الغرفة وقلت له :

ان فى وسعه أن يريح نفسه من هذا العناء الذى يضغط به على أعصابه ليمثل دور الانسان المتفوق ، الذى ليس فى حاجة الى .. وكل نظراته وحركاته اللاارادية تؤكد غير ذلك .. وتشير الى الحقيقة ، وهى انه يخشى أن أكون مشغولة بغيره .. وأن أرفض حبه .. وأن أتجاوزه بشخصيتى فلا اتوقف عند وجوده وانه فى مسيس الحاجة الى .. ولحظتها ورغم محاولته المكابرة ، كاد يغمى عليه من المفاجأة .. ولم يملك الا أن انهال على يدى تقبيلا وفى جنون .. يؤكد انه كان يفضل أن يولى ظهره للمعركة التى يؤمن مقدما بهزيمته فيها .. واقبلت عليه أنتزع من أعماقه هـــذا الاحساس بالضياع .. وازرع بدلا منه الشعور بالثقة ، وكان على أن أدعم فى حواسه الكثير من العواطف .. وألقى بنفسه بين يدى لا يبغى ولا يريد سوى ما أريده له .. وعلمته الإمانة مع النفس قبل الناس .. ونزعت عنه الاكفان التى كانت تغلف أعماقه .. وفى النهاية وجدت جسدا .. محنطا .. أضناه الكبح والكبت ، ودمرته الرغبات المحبطة والمرتدة ، وقد تحول الى هشيم ..

اعترف لى فى انهيار انه كان طول حياته ضـــحية اسرته .. والده تركه فريسة للاسرة ، واســـتولى عليه خاله مع والدته الى أن تخرج فزوجوه ابنة خاله دون رغبة أو ارادة

أو اختيار .. ووجد نفسه مدفوعا بعد ذلك الى الحياة .. مرغما على أن يحيا بين الناس كزوج ناجح .. وطبيب ناجح .. وكأنســـان له مكانة لا بأس بها فى المجتمع .. ولكن ما عدا ذلك كان ميتا .. انه يعترف ان طعم الحياة لم يحسه إلا حينما علمته الحب .. وشكل الايام وحجمها ..والليالى وعمقها .. كل ذلك لم يعرفه الا معى .. كان ميتــا روحا وجسدا فلما أمطرته سماء حبى بعواطفى الفياضـــة .. انتفض مبعوثا يشرق بالامال قلبا وقالبا .. ولم يســتطع كلانا الوقوف وعاصفة الهوى تدفعنا أمامها هوجاء مستعرة .. واذا بنا صرعى معاشرة لها كل ما للمعاشرة الزوجية من مظاهر .. من مسكن .. والفــة .. ومودة .. واعــلان لا ينقصها سوى الرسميات .. ولم يكن يمنعنا من ذلك الا خشيته من اصرار زوجته على الطلاق ، وفى ذلك جناية على ولديه ، ولو أن الامر اقتصر عليه لكان ذلك أهون عليه .. ثم كان ذلك الطفل الذى جئت أطالب اثبات بنوته اليه .. بعد أن أثبت انه انسان فاشل الانسانية .. عاد الى مواته وأصبح يزاحم الاحياء ..

يسير كنعش متحرك يحمل جثته فى قلبه الاجوف الذى استطاع ان ينكر تلك الايام التى كان الطفل ثمرة لها .. ولعل فى المستندات المرفقة بملف الدعوى ما يؤكد أن الابن ابنه ، وان كنت نادمة فعلى شىء واحد .. هو أن القدرجعل لى ابنا منه .. من المؤكد انه سوف يكون أفضــل منه ..

وجلست السيدة التى رغم غرابة قضيتها فقد استحوذت على عطف الجميع وجاء من اخر الصفوف رجل فى حــوالى

الاربعين أو بعدها بقليل ‥ ممتلىء الجسد ‥ طويل ‥ يسير فى وقار ‥ بارز الانف ‥ غليظ الخدين ، صغير الفم ممتلىء الشفتين ‥ واسع العينين ‥ لنظراته تأثير غريب ‥ أنيق الملابس ‥ ثم وقف يقول :

سيدي القاضي :

هذه المخلوقة أبت الا أن تطأ بتعاليها ما هو أقدس من الارواح ‥ واطهر من القلوب ‥ واعف من الافئدة ‥ لقد رعيتها أياما بكل ذرة فى كيانى كانت قادرة على الرعاية ‥ وعنيت بها عنايتى بحدقتى عينى ‥ وحنوت عليها بقدر مافى صدور أمهات الارض من حنان على أولادهن ‥ وهذا الجزء من العلاقة لست أنكره ‥ فقد كنت أتمنى لها نموا يعيننى على اجتياز عقبات معينة ‥

عقبات ما كان يمكن اجتيازها الا بقوة خارقة ‥ يحدث بعدها أن أخذت هذه القوة فأمزجها بنفسى ‥ أو تأخذنى اليها فامتزج بها ‥ ثم احيا بها وفيها ولكن البعث وقع ‥ ونفخ فى البوق ‥ وقضى الامر ‥ !

كانت بحكم وظيفتها تشغل وظيفة كبيرة الحكيمات ، وكل ما يمت الى الجنس الاخر بصلة من الموظفات ، وضاق المستشفى الذى كنا نعمل به عن مكان واضطررنا الى استئجار منزل قريب ليكون سكنا لكل الموظفات ‥ واذن فهذا البيت لم يكن سكنا خاصا بها واستأجرته لتقيم فيه لحسابى ‥ ولكنه كان بيتا عاما وليس لى عليه أكثر من ولاية وظيفتى ‥ ولا حق لى فى دخوله الا بقدر ماتسمح لى وظيفتى ‥ والى هنا ، لعل المحكمة تدرك أن محاولة تلفيق مسألة السكن هذه قد أصبحت واضحة أمامها ‥ ولو أننى كنت أخشى شيئا لانكرت اننا بدأنا علاقة حب عميقة وطويلة فى أول الامر ‥ فلما علمت بعدها أن لى زوجة وأولادا، وقد

نقلت اليها ذلك الخبر حكيمة زميلة لها كانت تعرفنى جيدا .. حينما علمت ذلك جن جنونها ، واتهمتنى .. فقلت لها انها لم تسألنى ولم أكذب .. ولم أخدع .. ان كل ماوعدتها به هو الزواج .. وأنا مازلت مصرا عليه .. وصاحت ولكنك صاحب زوجة وأولاد .. وكان ردى أن ذلك هو شأنى .. وليس شأنها .. ولكنها رفضت وأصرت على الرفض .. ورغم محاولاتى التى لا أنكر اننى بذلتها ، واستطيع أن أشهد بعض الزملاء على وقوعها .. فانها تمسكت بموقفها ، وقالت انها لم تضع فى برامجها الزواج من رجل متزوج .. ولم أحتمل هذه الصدمة .. فتركت العمل فى نفس المدينة الى مدينة أخرى .. والغريب بعد كل هذه أن تفاجئنى بهذه الدعوى بعد فوات أكثر من سنتين على كل هذه الاحداث .. متوهمة انها تستطيع أن تلصق بى نتيجة معاشرة لم تحدث لى على الاقل ، وليس لى بها أدنى صلة .

المحكمة :

وجلس الرجل الطبيب الى جوار السيدة التى كانت تتحدث قبله .. وصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

من حيث أن تحقيق النيابة قد أثبت أن المستندات التى قدمتها المدعية لا يطعن فيها وقد اعترف المدعى عليه بما كان بينهما من علاقة سابقة على هذا التاريخ ، ولكن الشهود وقد أجمعوا على أن المدعى كان يعاشر المدعية معاشرة غير خافية .. وبلا محاولة للانكار من كليهما .. ولما كانت تاريخ المعاشرة يتفق مع تاريخ الولادة ..

وللاسباب الاخرى التى ناقشتها المحكمة واقتنعت بها . فأنها تحكم بثبوت بنوة الطفل الذكر .. الى والده الطبيب .. شرعا ، وبكل ما يترتب على ذلك الحكم وبالزامه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ..

ذنب ابليس

صاحبة القضية لم تتجاوز الثلاثين معتـدلة الطول .. رقيقة الجسد .. لعينيها رموش مشرعة على أطرافها أغراء جذاب .. وفى خدها غمازة تظهـر متحفزة كلمـا همت بالابتسام .. مضيئة البشرة .. تحف بها هالة شـباب تبعث حولها موجات مثيرة .. وحينما نودى على قضيتها اتجهت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضى :

ليتنى أمتلك القدرة على تصوير الندم الذى أورثنى اياه .. ذلك الندم الذى قيدنى بأغلال ثقيلة ، وشـدنى الى ظلمات من اليأس قاتلة .. تمضى أيامى بلا موت أو حياة .. حالة ثالثة نادرة ما عاشها انسان قبلى .. أسبح فوق أمواج عاصفة من قلق مدمر .. فى متاهة محيط لا شاطىء له ولا مرسى .. اقتتات الندم نضارتى .. وانهارت تحت مطارق القلق كل حيويتى ..

لم يكن لى الخيار فى الهرب منه .. أحاط بى كالقيد .. كالملابس بالجسد كالجلد باللحم .. كنا نعمل معا .. هو الطبيب وأنا الممرضة .. هو يملك على الاقل مسـتقبلا ، وأنا لا أملك سوى شبابى الذى كالزهور .. ما لم استغله اليوم فسوف يذبل غدا .. وراح يصب فى أذنى الهمسات المعروفة .. وكنت خالية .. لم تمكننى ظروف حياتى من المغامرات .. هويت فى يديه كعصفور فى يد طفـل من الجولة الاولى .. أحببته ولكن فى وعى وتركت له قلبى ولكن لم أعطه عقلى .. ولهـذا ومن أجل ذلك لم يجد بدا من الزواج .. !

تزوجنا ورغم الاشواك التى كانت تفرش طريقنا فاننى استطعت أن أتحمل وحدى عبء رفع هذه الاشواك وحرصت على أن أهيىء له حياة زوجية سعيدة .. لا سيما بعد أن حجبني عن العمل .. كانت تجثم فى سماء بيتنا الصغير بعض السحب أهله قاطعوه .. بعض الاصدقاء رفضوا صداقته .. وحاولت أن أعوضه عن كل ذلك .. كنت أعرف جيدا أن زيجة كهذه تحتاج الى مجهود مضاعف .. فالفشل يتربص بها من كل جانب .. وشيئا فشيئا اعتدلت خطواتنا على طريق الزواج ، وثبتت الارض تحت أقدامنا ، ولكن بمشقة كان على وحدى أن أتحمل الجزء الاكبر منها ، وكنت سعيدة بذلك حريصة فرحة بتأدية واجبى الذى ما تخليت عنه لحظة .. !

وقبل أن يمضى العام فوجئت به يتغيب فجأة عن البيت .. ومضى يوم ويومان وأسرعت أتصل به تليفونيا فجاءنى صوته يقول لى انه سوف يتغيب فى مأمورية طبية ، ولا داعى للقلق ، واذا بالخبر ينكشف بعد أيام حينما وصلتنى قسيمة الطلاق .. والقت بى هذه الورقة فى براثن الندم .. ولعنت اليوم الذى قدر لى فيه أن أراه .. لماذا هذا العقاب .. ؟ وهل انتهى كل شىء بهذه البساطة ؟ حكم على بالموت والفناء بلا ذنب ! وتمنيت يومها لو أن لى ذنبا يعزينى فى هذا العقاب الذى تلقيته منه .. !

لم يكن أمامى وقد تخليت عن عملى .. الا أن أرفع ضده قضية نفقة ، وقضية مطالبته بمؤخر صداقى .. ورغم ذلك فعلت على كره منى .. الا اننى وصلت المضى فى هذا السبيل فقد كان غيظى يكاد يقتلنى ، وبعد شهور حصلت على حكم بكل مستحقاتى منه .. وحاول أن يراوغ ، وكانت

النتيجة أن وصلنا مرحلة أخيرة بالحكم وهى الدفع أو الحبس !

وجاءنى بعدها .. اقتحم حياتى من جديد .. قال لى انه حاول أن ينسانى ولكنه فشل .. وكان البعد عنه قد أوجع خاطرى .. وأحسست ان عودته انتصار لمعنوياتى أمام الجميع .. وقبلت عودته الى مرحبة به بكل ذرة فى جسدى .. وأسرع يخرج ويعود بالمأذون وتم كل شىء فى عجلة وشعرت أن حبنا يولد من جديد .. !

وتنازلت عن كل الاحكام السابقة من أجله .. ومضت بنا الحياة اكثر من ستة أشهر حملت خلالها ، وظننت انه سيفرح لهذا الخبر الذى من شأنه أن يعمق العلاقة بيننا ويرسى قواعدها .. واذا بكل شياطين الارض تركبه لمجرد سماعه ذلك .. ومن جديد عاد الى لعبته القديمة ، وهى الاختفاء .. وفى هذه المرة فوجئت به يبلغ ضدى النيابة أدلى بأقوال جديدة وغريبة أنكر فيها أنه أعادنى الى عصمته وانه عاشرنى .. وكذبته فيما أدعاه ، وانتهى التحقيق بالحفظ وانتظرت حتى وضعت الطفل .. واتضح انه لم يكن قد اعادنى الى عصمته ، وان المأذون لم يكن سوى تمثيلية قام بها لكى يسقط حقوقى القديمة ولكى يعود الى معاشرتى فى غفلة من كل القوانين والشرائع .. واذا كنت أطالب بثبوت بنوة الطفل اليه .. فذلك لكى يأخذ الطفل حقوقه كاملة منه أما أن يربط بينى وبينه فلا .. فقد أصبحت لا تكفينى كراهيته ، وانما احتقاره أيضا .. !

وجلست السيدة التى أثارت الجميع بقصتها ، وجاء من بين الصفوف رجل فى نحو الثلاثين .. نحيف .. أصفر الوجه .. يرتدى نظارة طبية سميكة .. لامع الشعر ..

تميزه جبهة عريضة بارزة ، وفم واسع ٠٠ وذقن مدبب ، وحينما وقف عند المنصة وقال :

سيدي القاضي :

جاءت النهاية ٠٠ ولست أزعم انني كنت أعرف أو حتى أشعر أن جزائي على ما قدمته من خير هو هذا الشر الخطير ٠٠ ان القصة لم يكن فيها شيء من الغفلة أو الاحتيـــال ، فالواقع انني أخذت المسألة جملة وتفصيلا على انها لا تزيد على عطف على ظروفها السيئة التي روتها لي ، والتي قـدر لي أن أطلع عليها بحكم الصداقة التي نشأت بيننا ٠٠ فهي تعيش في بيت مهتز الاساس والجدران ، والدتها متوفاه ، ووالدها في يد سيدة تزوجها لكي تذيقه أنواعا من الـذل غريبة ، وحينما أقدمت على الزواج منها كان هدفي أن أضع ابتسامة على وجهها الذي أثر فيه الاكتئـــاب فرسم عليه خطوطا من الالم التي كانت تعطيها من العمـر أضعـــاف حقيقتها !

وحينما تم الزواج الذي لم تكن تسنده أي مقـومات من التكافؤ ، لم يفاجئني منها لوم الطبع الذي برز على أخلاقها وراحت تحاول أن تقوم بدور الزوجة التي لها كل الحقوق والواجبات ، وتناست نهائيا انني ما فعلت ذلـك الا لكي أنتشلها من زيجة سيئة كان والدها يريد أن يدفع بها اليها فقد طمع أحد أقاربها فيها وخطبها من والدها ووافق رغم انه يفوق والدها في العمر ٠٠ وكان زواجي منها انقاذا لها من الانتحار الذي عزمت عليه ٠٠ وساعتها لم تلق بالا الى هذا ٠٠ كل ماكانت تريد تحقيقه قد حققته ، وأصـــبحت زوجة شرعية يمكنها أن تفعل بزوجها ماتريد !

وأول ما فعلته هو انها راحت تحاسبني على الوقت ،وعلى

المصروفات ، ونصبت من نفسها قيما على تصرفاتى ، ولما كانت تعرف كل العاملات والعاملين معى فقد تبين لى انها تطلب يوميا كشف حساب عن كل تصرفاتى من أحد الموظفين هناك ، وكان يسعدها كثيرا أن تمارس حقوقها على زميلاتها كزوجة طبيب حتي بعد أن استقالت من العمل ٠٠ !

تبين لى من الشهور الاولى أن الفجوة بيننا كبيرة ، وان الرجوع عن الخطأ خير من التمادى فيه ، وصممت على أن أواجه الامر بشجاعة ، وان أتحمل نتيجة هـــذا الزواج ، وعرضت عليها أن أدفع لها نفقة سنة ومؤخرها فى هدوء ولكنها رفضت ، واستكبرت ، وأدعت انها حامل ، ورغم أن ذلك صميم مهنتى فقد عرضتها على طبيب اخر قرر انهـا ليست حاملا ٠٠ وخرجت من العيادة معها وتركتها تركب سيارة الى البيت وذهبت الى المأذون فطلقتها ، ولم أعد اليها مرة أخـــرى ٠٠ الى أن أقامت دعواها بالنفقة ومؤخرها ٠٠ وتراضينا على مبلغ محدد دفعته لها مرة واحـدة ، وانتهى الامر بالنسبة لى ٠٠

غير انى فوجئت بها بعد عام ونصف تدعى انها وضعت منى هذا الطفل وتخترع هذه القصة الغريبة التى لا يمكن أن تجوز على فلاحة قادمة من الارياف فضــــلا عن موظفة عملت أكثر من خمس سنوات ٠٠ كيف تدعى اننى جئتهـا بمأذون مزيف ؟ ألم توقع على دفتر ؟ وهى التى سبق لها أن تزوجت ووقعت وتعرف تماما الفرق بين دفتر المأذون ودفتر الحسابات ٠٠ ان هذه الكذبة ساقطة من أساسها ، وأما الشهود الذين جاءت بهم على المعاشرة الثانية فهم من أقاربها وجيرانها الذين يشهدون معها بالاجر ٠٠ اننى أنكر هذا الطفل لانه لا صلة بينى وبينه ٠٠ فلقد وضـــعته أو

جاءت به بعد طلاقها منى بسنة كاملة .

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث انه ثبت للمحكمة من أقوال الشهود أن المدعى عليه عاد الى معاشرة المدعية تحت ادعاء كاذب بالعقد عليها، وشهد بالمعاشرة الزوجية بعض الذين ترددوا عليهما للتهنئة بعودة الحياة الزوجية التى استمرت بعدها الى أن اختفى وحيث أن هذا الطفل كان نتيجة لهذه الفترة فان المحكمة تحكم بثبوت وصحة نسب الطفل محل الدعوى الى المدعى عليه ، وتلزمه بمصروفات الدعوى وأتعاب المحاماة .

ليل .. بلا فجر

صاحبة القضية دون الاربعين .. تملأ ملامحها متاعب الزوجية المبكرة .. طويلة في غير افراط .. ممتلئة في غير سمنة .. في عينيها بقايا أنوثة .. كانت ذات يوم مثيرة .. تستلقي ظلال رموشها السوداء على بشرتها البيضاء .. وتتكدس خصلات شعرها الاسود الكثيف تحت عنقها .. وحينما نودى على قضيتها خرجت الى المنصة لتقول :

سيدى القاضي :

هل من الممكن أن يحدث ذلك .. أن يصل الانسان في لحظة ضعف الى أن يستوى لديه الايمان وعدمه ؟ .. وهل يستطيع اليأس أن يدفع المؤمن الى خلع ايمانه والتجرد منه .. والقاء نفسه في الوحل نقمة على الطهر والطهارة .. ؟ وماذا يبقى بعدها لمن يحملون الشموع في صبر وايمان النهاية معهم والنصر لهم .. ؟ وماذا يبقى لكل المؤمنين اذا ما أيقنوا ان الليل حطم القاعدة وأصبح بلا فجر ! ..

نشأت في أسرة محدودة الدخل .. ولم يكن أمامي الا أن التحق بمدرسة عملية بعد حصولي على الابتدائية .. وكان أن وجدت مكاني في مدرسة صغيرة من مدارس وزارة الصحة .. وبعد عدة أعوام كنت أتقاضى راتبا يغنيني عن أهلي .. ويجعلهم يستريحون من العبء الذى كان فوق أكتافهم .. فنحن خمس فتيات ليس لنا سوى أخ واحد .. الذى أريد أن أصل اليه هو انني ما كدت أتخرج ، وبدأت ملامح الانوثة تتضح في قوامى .. حتى أصبح كل همى هو أن أطارد ذلك الجيش الجرار الذى إندفع يطاردني .. بنت طبقتها صغيرة .. جميلة .. تتطلع طبعا الى الملابس الغالية .. والهدايا والاحذية .. وكدت أجن .. في العمل مطاردة .. وفي خارج العمل مطارده وفي الشارع ..

والخطاب يطرقون بابنا كل يوم .. وتقدم هو مع الذين تقدموا من أهل الحي .. كان مثلي لم يحصل على مؤهل عال .. ولكنه التحق بعد الوظيفة بمعهد الموسـيقى .. كان معروفا في الحي بمثاليته وقد يكون هو ما جعلنى أفضله على الجميع .. وفوق ذلك فان لديه أحلاما كبيرة يمكن أن نتخذها وسيلة في صنع مستقبل يخفف كل معاناتنا .. اكثر من شيء رائع كان يربطنى به .. اصراره على هوايته وثقته الشديدة بأنه في وسعه أن يكون شيئا فى المستقبل .. وعمله الدائم فى مثابرة للحصول على الدبلوم ،وفرض نفسه من خلال عمله على المجالات الموسيقية .. !

وقبلت خطبته التى كنت أعلم انها سوف تطول ، وقد كان .. وحملت عنه كل ما يمكن أن أحمله .. لم نبدأ في الاستعداد للزواج الا بعد أن حصـل على الدبلوم .. وتم الزواج ، وراتبه من وظيفته المتواضـعة ، كما هو وكسبه من الفن لا يبغى بالتاكسيات التى يضطر لركوبها .. وكان على أن أخلق من البيت وبالبقية البـاقية من راتبى جـوا يساعده على الانتاج وعلى تسويق الانتاج أيضا .. !

وبدأ يتعامل مع الاذاعة .. وفى كل يوم يوحى الى بأنه على أبواب المجد .. وأنا أعمل ليل نهـار ما بين البيت والوظيفة ، حتى كادت أعصابى تتحطم من ارهاق العمـل المستمر .. ولكن الواجب ، والحب ، والتضـحية وكيف انني سأكون المرأة التي وراء هذا الرجل العظيم .. كـل ذلك كان يخدعنى به .. وهكـذا نسيت نفسى بين يديه لدرجة أننى كنت أقترض من أجله .. أفكر فى ملابسه قبل ملابسى .. أى فستان يمكن أن يرضينى أما هو فلابد أن تكون ملابسه أنيقة .. فهو فنان ! .. ورسالتى فى الحياة أن أجعله شيئا هاما فى عيون الجميع .. !

بدأ أجره يرتفع ·· ذاعت شهرته ·· أصبح بيتنا كعبة للفنانين والفنانات لم تعد حفلة من حفلات الاذاعة تخلو من الحانه ·· وأصبح صاحب مدرسة وله تلاميذ وتلميذات . وكان ذلك على حساب صحتى ، ومالى ،وأخيرا بيتى ·· طوّل النهار والليل تليفونات ·· وزوار وفى اخر الامر ، وبعد عشر سنوات وثلاثة أولاد ·· قال لى ·· هكذا دفعة واحدة انه مضطر أن يتزوج من ملهمته ·· ! والملهمة هذه طفلة في عمر أولاده ·· وأستأجر لها شقة في حى راق ·· ببساطة وسهولة بعد كل هذه التضحيات ·· نقل نشاطه الزوجى الى مكان اخر ·· تماما وكأنه فى محـــل عـام ·· ! أننى في دهشة مما فعله بي ·· فلست أدرى هل هو يرد جميلى ·· انه أراد أن يكافئنى على وقوفي بجانبه ؟ واذا كان هذا كله موجها لى بالدرجة الاولى ، فما ذنب الاطفال الثلاثة ··؟ الاطفال الذين ألفوا الثلاجة ·· والتليفون ، والتليفزيون؟ وهل انطوى بهم من جديد فى غرفة وانفق عليهم من راتبى ترى ماذا كان يمكن أن يكون موقفى لو أننى سمعت كلامه واستقلت ·· ؟! اننى لن أطالب بالكثير ولكن بالقليل جدا ·· بالنفقة لى ولاودى ، وبكل ما يمكنهم من الحيـاة التى تعودوها ·· !

وجلست السيدة ليتقدم من اخر الصـــفوف رجل فى حوالى الخامسة والاربعين نحيف ·· واسع العينين ·· لامع الشعر ·· مستقيم الانف ·· واضح من ملابسه المزركشة انه يشتغل بالموسيقي ·· ومضى الى المنصة ، وهناك وقف يقول :

سيدي القاضي :

لست أريد أن أضع حياتى ، وحياة هذه الســـيدة فى

كفتين متعادلتين .. اننى أرجو أن أجد من الكلمات ماأتمكن به من شرح الحقيقة التى شوهتها هذه السيدة .. فالتشويه هو رسالتها الوحيدة والاخيرة فى الحيـــاة .. هـــذا هو أسلوبها فى التعامل .. وهو نفس الشيء الذى جعلنى أفقد صبرى يوما بعد يوم ، حتى عجزت من مواصلة الحيـــاة معها .. !

من الصعب والمؤلم على نفسى أن أتهمها بأنها كانت تبذل جهودا متواصلة لهدمى كفنان ، بعد أن تمكنت من الوقوف على قدمى فى مشقة كلفتنى سنوات من عمـرى .. لست أنكر انها شاركتنى كفاحى ، وقاسمتنى متاعبى .. غير أن الغيرة العمياء المجنونة ، أغرتها باندفاع فى محاولة لتحطيم كل مابنيته طوال عمرى .. ولو كان فى ذلك تحطيم ذلك الزوج المسكين .. !

وما كدت أضع قدمى على أول الطـــريق والتقط أنفاسى حتى راحت تعدد لى طلباتها ورغم كل ما يحيط بى ، فقـد كنت أنفذ لها هذه الطلبات .. والذى عجزت عنه هو تقديم كشف حساب بالحركات .. طول النهار فى عملى الرسمى ثم أجرى بعد ذلك ما بين معهد الموسيقى وأصـــدقائى من الزملاء لعمل البروفات .. وعنـــاء البحث عن المطـربين والمطربات ما بين أحياء القاهرة المختلفة .. وفى الليـــل تسألنى أين كنت ؟ .. لماذا .. ؟ لان ثيابك تحمل رائحـة نسائية .. ! من يستطيع أن يسمع مثل هذا الكلام ، وهو فى مثل حالتى من الارهاق والتعب دون أن يفقد أعصابه ، ويرتكب من الحماقات ما قد يعاقب عليه القـــانون .. ؟ أصرخ فيها .. استجديها .. أفهمها أن كل هذه الحماقات تؤخرنى .. تضر بى وبمستقبلى .. تنعكس على أعمـــالى فتنظر الى فى غباء .. وتمط شفتها كأنها تستهجن ما أقوله

لها ٠٠ وتبدى دهشتها لاننى أربط بين المتاعب وبين الموسيقى ! ٠٠ وتركت كل شىء فى البيت ، وأصبحت مهمتها مراقبتى فقط ٠٠ جندت نسوة ورجالا لمراقبتى ٠٠ وشغلها ذلك عن أعمال البيت ٠٠ لدرجة اننى كنت أنتظر الغداء حتى الساعة الرابعة دون أن يكون قد أعد ٠٠ وخلال ذلك تكون ساعات راحتى قد انتهت ٠٠ فلا أستمتع بالطعام ولا أحصل على الراحة ٠٠ فاذا حدث وفتحت فمى احتجاجا على هذا ٠٠ فانها تلقى بالمسئولية على الصغار الذين أضاعوا وقتها ٠٠ وهكذا ! ٠٠

واذا وجدت كل مافى جيوبى خارجها ،فأولادى هم الذين فعلوا هذا وليست هى بحثا عن صور النساء ، واذا وجدت قميصا بلا أزرار ، فأولادى هم السبب ، واذا دخلت الغرفة التى خصصتها للتلحين ووجدتها كسوق الكانتو فأولادى هم السبب ٠٠ ولم يكن أمامى الا أن أثور وأدعو الله مخلصا أن يباعد بينى وبين الاولاد٠٠ولكيلا أكره أولادى ويكرهونى اخترت أن يكون لى بيتا اخر بعيدا عنهما وعن أولادى ٠٠ بيتا للانتاج فقط ٠٠ ولكنها شنت على غارات متعددة ، فاتهمتنى مع فتاة من تلميذاتى اننى أسأت الى سمعتها ، ولم أجد بدا من زواجها لانقاذ ماء وجهها أمام الناس ٠٠ انها هى التى جعلتنى أكره البيت ٠٠ وأهرب من الاولاد ٠ وليس أدل على تعنتها من أنها رفضت التفاهم السلمى معى، واصرت على أن يكون كل شىء بيننا بالقانون ٠٠ !

المحكمة :

وجلس الرجل ليصدر الحكم الذى جاء فى حيثياته :

وحيث أن المدعى عليه قد تزوج المدعية بعقد صحيح بتاريخ ٠٠ وعاشرها بمعاشرة الزوجية التي اولدها نتيجة لها الإطفال وقد تركها بلا نفقة ولا منفق منذ التاريخ المبين في عريضة الدعوى ٠٠ وذلك رغم يسار المعيشة التي يحياها، وبعد الاطلاع على المستندات الدالة على يساره ،والاستئناس برأى النيابة ، تحكم المحكمة بنفقة شهرية وتلزم المدعى عليه بالمصروفات وأتعاب المحاماة ٠

رقم الايداع : ٢٠٥٢ / ١٩٨٨
الترقيم الدولي : ٥ - ٣٤١ - ١١٨ - ٩٧٧

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول - الصفاة - ص. ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

اسعار بيع للعدد العادى فئة ٧٥ قرشا :

سوريا ١٨٠٠ ق . س ، لبنان ٣٥٠ ليرة ، الأردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ١٦٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، السودان ٢٥٠ ق . سودانيا ، البحرين ١٢٠٠فلس ، الدوحة ٨ ريالات ، دبى ٨ دراهم ، ابو ظبى ٨ دراهم ، مسقط ٧٥٠ بيسة ، تونس ١٦٠٠ مليم ، المغرب ١٥٠٠ فرنك ، غزه والضفة ٧٥ سنتا ، اليمن الشمالية ١٣ ريالا ، عدن ١٤٤ سنتا ، الصومال ١٣٠ بنيا ، لاجوس ١٢٠ بنيا ، داكار ١٠٠٠ فرنك ، لندن ١٥٠ سنتا ، اثينا ٢٠٠ دراخمة ، كندا ٥٠٠ سنت ، البرازيل ٦٠٠ سنت ، استراليا ٦٠٠ سنت ، ايطاليا ٣٠٠٠ ليرة .



هـــــذا
الـــكـتـــاب

●● فى هذا الكتاب مجموعة من قضايا الطلاق ، والنفقة .. قضايا النساء والرجال .. عندما تصبح أحجام الغضب بينهما أكبر من مسافة البيت ..

فيخرجان بها الى المحكمة أو تخرج خلافاتهما بهما .. ومن ثم يتحول الحب الى كراهية ، والود الى مكائد يديرها كلاهما للآخر .. وتشعر الزوجة أنها ظلمت ظلما لم تعرفه البشرية .. ويصرخ الزوج فى كل محفل .. ان زوجته لم تعد تفهمه .. كأنه فجأة أصبح لغزا .. يستعصى حله على الأذكياء ..

وكاتبنا عبد المنعم الجداوى استطاع بحق ، ولأول مرة فى الصحافة المصرية والعربية ان يجعل لهذه القضايا نكهة جذابة . أفرغ عليها من تجاربه ، واقتداره المشهود له به فى عمارة الجملة
الموسيقية ، وهندسة العبارة ما جعل القراء يتلو
اسبوع على قراءة مجلة « حواء » على مدى

والذى لاشك فيه هو أن عبد المنعم الجداوى
على العرض والتحليل فى الجريمة قد بوأته م
الصحفية المتعلقة بالجريمة .. لا يرنو إليها أ
الذى جعل اسمه شاع ، وذاع ، وملأ الأسماع ه
الأحوال الشخصية ، والذى يقدم فى هذا الك
يذهبن الى المحكمة » بعض قضاياه .. !!



٧٥ قرشاً